يوميات عباس بك

معاون حكمدار عموم السودان

الذى استشهد فى ميدان معركة شيكان

بكوردفان ٥ نوفمبر ١٨٨٣

عبد الرحمن زكى



صفحتان من دفتر يوميات عباس بك كما دوّنها بالقلم الرصاص

يوميات عباس بك

معاون حكمدار عموم السودان

الذى استشهد فى ميدان معركة شيكان بكوردفان ٥ نوفمبر ١٨٨٣
تحت إمرة الجنرال هيكس باشا

هذه الوثيقة إحدى مخلفات حملة هيكس . خطها بالقلم الرصاص عباس أفندى معاون اللواء علاء الدين باشا حكمدار عموم السودان قائد ثانى الحملة . وقد التقط مذكرة اليوميات درويش من مجاهدى المهدية من بين متعلقات الضابط الشهيد بعد قتله . وظل هذا الدرويش محتفظاً باليوميات حتى قتل هو الآخر فى ميدان معركة أم درمان عام ١٨٩٨ ، وعثر عليها أحد ضباط مخابرات الجيش المصرى . الذى سلمها إلى رئاسة القوات المصرية البريطانية . ثم بعثت بها إلى أمين قصر وندسور بإنجلترا . لصيانتها بين محفوظات القصر التاريخية .

وقبل نشر اليوميات نقدم لها ذاكرين بعض الأحداث الممهدة :

فى عام ١٨٨٢ صممت الحكومة المصرية بعد الاحتلال البريطانى على إرسال حملة لاسترداد مدينة الأبيض عاصمة كوردفان . التى سقطت فى قبضة المهدية بعد حصار طويل .

وفى العام المذكور عينت الحكومة ــ الجنرال هيكس من ضباط الجيش الهندى بالمعاش رئيساً لأركان حرب عموم الجيش المصرى تمهيداً لتوليه قيادة الحملة . وعينت الأميرالاى حسين مظهر بك وكيلا لحكمدارية عموم السودان . فوصل أولها إلى الخرطوم فى ٥ مارس عام ١٨٨٣ .

وكان الجيش المصرى على أثر الثورة العرابية قد حل . ثم سعت الحكومة لإنشاء جيش حديث . فعبأت بسرعة حملة قوامها ضباط وجنود الجيش العرابى . من فلول القوات المصرية . لينضم إليهم فى الخرطوم بعض القوات المعسكرة فى

السودان . جمعت الجنود والضباط بسرعة . ولم تكن الحملة فى تكوينها وتسليحها وتنظيمها أو فى معنويات رجالها ما يتفق مع الأهداف المبتغى تحقيقها . وكان تأخر المعدات فى الخرطوم . وعدم تعاون الضباط الكبار مع هيئة القيادة من أهم عوامل اندحار الحملة .

وتلقى المكاتبات والبرقيات الرسمية التى تبودلت بين الجنرال هيكس وأولى الأمر فى القاهرة من مصريين وبريطانيين — الضوء على ما كان يسود هذه الحملة من الارتجال وعدم الاستعداد وفقد الانسجام .

وفيما يلى مقتبس من خطاب كتبه القائد هيكس فى ١٤ إبريل ١٨٨٣ للورد دوفرين يوضح لنا الموقف(١) .

« إننى فى حيرة من ناحية تموين الجنود ودفع مرتباتهم . أما عن الأمر الأول فعند بعض القوات تعيين يكفيهم أسبوعين . وللبعض الآخر عشرين يوماً لم تصل بعد تعيينات من اللواء علاء الدين باشا . ولم تصل بعد إلى الخرطوم — الباخرة — التى كنت أوفد بها لإحضار المرتبات ومصاريف الحملة . وآمل أن يوفق أحد ضابط أركان حربى لإحضار المال والطعام . . . وإلا كانت النتيجة تأخر قيام الحملة .

إن الأرض التى سنسلكها لا تحتوى على ما نفيد منه — ولقد صمم الجنود الباشبوزق لضباطهم أنه إذا لم تدفع لهم مرتباتهم فسوف لا يسافرون .

سأعمل كل ما فى طاقتى للوصول إلى « جبل عين » . وليست عندى التعيينات الكافية . ولم يتسلم الجند مرتباتهم منذ أشهر . وعدد بواخر النقل قليل . ومعظمها فى حالة سيئة لا وقود كاف لتسييرها» .

وفى برقية أخرى بعث بها هيكس إلى سير ماليت بتاريخ ٣ يونيو من الخرطوم نجده يشكو له فيها(٢). قلة عدد رجال الحملة مع جسامة أهدافها . وضآلة كميات التموين التى تحت يديه . وطول المسافات التى سيسيرها . وصعوبة حراسة خطوط المواصلات وسوء الحالة فى الخرطوم لامتداد الثورة إليها .

---

(١) Henry Russel. The Ruin of the Sudan. p. 29-30.

(٢) Henry Russel. The Ruin of the Sudan. page 31.

وفى برقية أخرى بتاريخ ٨ يونيو يشكو القائد[١] ، صعوبة العمل مع القادة المصريين والأتراك فى السودان . وعدم تعاونهم معه . وعلى الأخص اللواء سليمان باشا نيازى . وتقديم استقالته إذا لم تجب طلباته .

فتوافق الحكومة المصرية على استدعاء نيازى باشا ، وأخيراً تصدر أمرها بتقليد هيكس القيادة العامة ، وتأمر اللواء علاء الدين باشا فى منتصف أغسطس بمعاونة هيكس وتنظيم وإعداد الحملة وضم ما يراه من قوات السودان . ثم عينته حكمداراً عاماً للسودان . وأن يسير مع الجنرال هيكس كقائد ثان للحملة .

وفى أواخر أغسطس ١٨٨٣ كانت قد تمت معدات الحملة فى أم درمان . وتألفت من القوات الآتية :

٧٠٠٠ مشاة .

٤٠٠ خيالة من الباشبوزق غير النظاميين .

١٠٠ جندى مدرع .

أربعة مدافع كروب وستة مدافع نورد نفلدت وعشرة مدافع قصيرة المدى (صاروخ) .

وكان على الحملة من القادة المصريين :

اللواء حسين مظهر وأمراء الآلايات سليم عونى ، والسيد عبد القادر ، وإبراهيم حيدر ، ورجب صديق . وكان على المدفعية والخيالة عباس بك وهبى . وتبع الحملة ــ ٥٥٠٠ جمل وخمسمائة جواد .

وكان من ضباط هيئة أركان الحرب : الكولونيل فركاهر والميجور سكندورف وورنر وماسى ومستر إيڤانس (رئيس المخابرات) والكابتن هرلت وغيرهم . ورافقهم لفيف من مكاتبى الصحف الأوربية .

تبدأ حوادث اليوميات من يوم ١١ سبتمبر ١٨٨٣ بالدويم التى تقع على مبعدة ١٢٠ ميلا جنوبى الخرطوم وعلى النيل الأبيض . وكانت الدويم قاعدة الحملة .

---

(١) برقية بتاريخ ٨ يونيو من هيكس إلى الجنرال إيفلين وود سردار الجيش المصرى بالقاهرة . وبرقية بتاريخ ٢٣ يوليو ١٨٨٣ من هيكس إلى سير ماليت مندوب الحكومة البريطانية فى مصر .

فى ٩ سبتمبر غادرت الحملة أم درمان .

فى ٢٠ « وصلت إلى الدويم حيث كان اللواء علاء الدين باشا .

وإلى ذلك التاريخ كان الجنرال هيكس فى الخرطوم يتصل مع حكومة مصر وكان من رأيه أن تسير الحملة من الدويم إلى الأبيض عن طريق باره . فيفتحها أولا . فلما وصل إلى الدويم تفاوض مع علاء الدين الذى رأى بناء على خبرته ومعلوماته أن طريق باره قليل المياه . وفضل هذا أن تسلك الحملة طريق خور أبو جبل والرهد جنوباً لكثرة المياه . وإن كانت مسافة الطريق أطول (٢٥٠ ميلا أما الطريق الأول — الدويم إلى الأبيض عن طريق باره — ١٣٦ ميلا) . فاقتنع هيكس ووافق على مسير الحملة عن طريق خور أبو جبل .

فى ٢٧ سبتمبر وصلت الحملة من الدويم إلى شات .

فى « « « شات وهى فى تشكيل بهيئة قلعة مربعة .

فى « « « قرية رزيقة على مسافة ثلاثين ميلا من من الدويم .

فى ٢٠ أكتوبر « « إلى الرهد .

فى ٢٦ « تقدمت « إلى كاشجيل .

فى ٢٩ « الوصول . . . . علوبة .

فى ٤/٥ نوفمبر هزمت الحملة فى شيكان بعد مفاجأة الدراويش لها وكانت لا تقل قوتهم عن مائة ألف من المقاتلين المتحمسين . فأبيدت الحملة . حتى الذين استسلموا وسلموا سلاحهم لم ينقذوا من الموت .

وكانت آخر برقية أرسلها هيكس إلى القاهرة بتاريخ ١٧ أكتوبر قال فيها :

« نحن الآن على مسافة ٢٠ ميلا من نوارلى . وإنى متأسف لأننا لم نحفظ خط الرجعة . فقد أفادنى حاكم السودان (علاء الدين) أن العرب سيقطعون عنا الذخيرة والزاد ويحيطون بنا من كل ناحية بعد أن يوغل جيشنا فى البلاد وزد على ذلك . أن برك المياه ستجف . فلا يمكننا استقاء الماء إلا بحفر الآبار . وصحة العساكر جيدة والحر شديد » .

تمت هزيمة الحملة كما يأتى[١] .

« فى صباح يوم الإثنين ثالث محرم أمسك الدراويش عن إطلاق النيران وبعد شروق الشمس ركب المهدى . واستدعى الأمير عبد الرحمن النجومى بخيله ورجاله . وأمره بالهجوم على الحملة من جهة الجنوب . وأمر يعقوب أمير الراية الزرقاء بالهجوم من جهة الشمال الشرقى . وموسى حلو أمير الراية الخضراء . بالهجوم من الجنوب الغربى . فهجم الجميع وفتكوا بالجنود وأخذ هيكس يصرخ بأعلى صوته ويقول خذونى . أسيراً . فابتدره فارس بطعنة . وهكذا كان هلاك حملة الجنرال هيكس » .

وكان من نتائج الهزيمة أن اضطر سلاتين باشا حاكم دارفور إلى التسليم بدون مقاومة . وتم ذلك فى ٢٣ ديسمبر ١٨٨٣ . وأخذ أسيراً عند الدراويش حيث ظل إلى عام ١٨٩٥ حينما استطاع الفرار إلى مصر .

عبد الرحمن زكى

---

(١) إسماعيل سرهنك – حقائق الأخبار عن دول البحار . ج ٢ ص ٤٧٦ .

. . . . . [لياقتها لبعد مسافة اعتدال] الأرض عن البحر وصعوبة نقل المهمات من البحر إليها كما علم أن مسافتها تزيد عن ساعتين فقد استقر رأى سعادة أفندم الحكمدار على عدم تكليف الجيش [لجسامته] الذى صار معلوماً لنا عند قيامه جهة أم درمان على حضوره لهنا ورجوعه لنقطة بربرة ثانى مرة فإن الأوفق هى فى هذه الساعة يقتضى قيام سعادة حسين باشا مظهر وحضرة شكرى بك بوابور الفاشر واستكشاف النقطة التى تحد مواقعه وانتظار سعادته هذا من حيث عزم على القيام طوغرى بوابور بردين المذكور إلى جهة الكوة ورجوعه بالتالى ماراً على جنابه لمقابلة سعادة حسين باشا مظهر بالجهة التى استصوب جعلها معسكراً للجيش والجمال وخلافه .

قمنا من نقطة الدويم[1] قاصدين الكوة[2] فى الساعة ١١ و ٣٠ دقيقة — وصلنا قريب من الكوة الساعة ١٢ ودقيقة ١٠ ليلا .

وقمنا منها صباحاً الساعة ١٢ عربى قاصدين الكوة فى يوم الأربع المبارك موافق ١٠ القعدة سنة ٣٠٠ ، ١٢ سبتمبر سنة ٨٣ .

فى يوم الأربع المبارك ١٠ القعدة سنة ٣٠٠ (١٢ سبتمبر سنة ٨٣) وصلنا الكوة فى الساعة نصف نهاراً عربى وعند اشتغال الوابور ضربت المدافع من من طابيتها إيذاناً بوصول سعادة أفندى الحكمدار للنقطة المذكورة وصار نزولنا بالبر وقد اقتضت إرادة سعادته المرور داخل خط الاستحكام الذى وجد فى فى غاية الإتقان محيطاً بالبلدة من البحر داير إلى الجهة الغربية وقد اصطفت العساكر الجهادية على خط منتظم فى مركز البلدة ثم عساكر الباشبوزوق والشايقية مقابلين بعضهم وعند اقتراب سعادته عمل السلام اللازم على حسب

(١) تقع الدويم على الشاطىء الغربى للنيل وعلى بعد ١٢٥ ميلا جنوب أم درمان وكانت مركزاً تجارياً هاماً .

(٢) الكوة قرية صغيرة جنوبى الدويم على بعد عشرين ميلا منها (Kawa)

ما جرت به العادة وطاف سعادته أمام الجميع وهم على هيئة سلام طبور ودعوا هنا لحضرة الخديوى (أفندى مزجوق يشا) ثلاث مرات ثم طلع سعادته مع حضرة على بك قائمقام النقطة إلى برج قلعة ٧ جى فى مركز البلدة ووقف سعادته وهناك مرت العساكر ودعوا للحضرة الخديوية ثانى مرة وكان هذا على نسق منتظم ، ثم انصرفوا ممنونين ، وقد دعا سعادته الضباط وأظهر لهم مزيد ممنونيته من هذه الإجراءات العظيمة وأخبرهم بتبليغ ذلك أيضاً إلى كامل العسكر ثم قصد منزل حضرة على بك القائمقام وهناك شربنا الشربات وحضرت الضباط لتبليغ السلام إليهم وكذا الشواربات الشايقية(١) وحضرة عبدالعزيز بك أيضاً ثم قمنا من هذا المنزل قاصدين منزل حضرة عبد العزيز بك وهناك أيضاً شربت القهوة والشربات وهناك اجتمعت كامل أهالى البلدة من كبير أو صغير فرحين مسرورين بتشريف سعادة أفندى الحكمدار لهذه الجهة ثم قمنا هناك قاصدين الوابور فى الساعة ٢ نهاراً وحضر رفقتنا حضرة على بك وحضرة عبد العزيز بك وحضرة حسن أفندى البكباشى وكامل الشواربات الشايقية وبالتأمل إلى هيئة وصحة العسكر وجدوا جميعهم فى غاية الصحة التامة — وقد أخبرهم سعادته وعداً بأن سيرعى راحتهم مع شمول التفاته إليهم جميعاً حيث علم بعصيان الضباط لم صار ترقيتهم كأقرانهم وعلى هذا انصرفت الضباط ممنونين مودعين بالترقى داعين ببقاء سعادته وبقاء الحضرة الخديوية .

فى الساعة ٢ و ١٠ دقيقة قد دعا سعادته شخصين من أهالى هذه النقطة وبالاستفهام منهم عن الطريق الأسهل لمرور الجيش بجملته وجماله منها لكردفان قد أوروا السكة الموضحة بآخر هذا الدفتر (٢) . وبالتأمل لها وجدت أسهل طريق على الخصوص لكثرة وجود المياه بها التى تكفى الجيش وخلافه .

فى يوم الأربع المبارك ١٠ القعدة سنة ١٢٠٣٠٠ سبتمبر سنة ٨٣ قمنا من نقطة الكوة فى الساعة ١٠ عربى نهاراً وصلنا من الكوة إلى الدويم الساعة ١٢ و ٣٠ دقيقة ليلا .

---

(١) أثبتنا هذه الكلمة كما هى فى الأصل .

(٢) لم يعثر عليها ومن المحتمل أن تكون مزقت فى الكراسة الأصلية .

يوم الخميس صباحاً الموافق ١١ القعدة سنة ٣٠٠ ، ١٣ سبتمبر سنة ٨٣ الساعة ١١ و ٣٠ دقيقة نزل سعادة أفندى الحكمدار للبر وبعدها نحن صار نزولنا أيضاً الساعة ١٢ صباحاً وبحال تشريف سعادته بالمعسكر الداخل الاستحكامات ضربت المدافع إيذاناً بوصوله بالسلامة وعملت التشريفة اللازمة حسب المعتاد ثم فى الساعة ٢ و ٣٠ دقيقة كان جار تجهيز المحل المعد لنزوله خارج الاستحكام وهناك نصبت الخيام لسعادته وقمنا للقيام بهم ووجد معمول أيضاً دايرة من الشوك خصوصية مانعة المرور فيها وإليها خلاف كوبرى [وحصة] عمل مخصوص لاتصال المعسكر بهذا المحل المذكور .

فى الساعة ١٠ عربى نهاراً أرسلنا جواب إنكليزى لسعادة هيكس باشا بوابور الفاشر صحبة اليوزباشى إيدى توجه مخصوص بجواد من سعادة أفندى وآخر من سعادة اللواء حسين مظهر باشا لمقابلة سعادته بالطريق .

فى يوم الجمعة الساعة ٣ ليلا عربى قد حضر الرد من سعادة هيكس باشا دل على وصوله قريب الترعة الخضرة بغاية الصحة والسلامة مع جميع المعسكر والضباط وفقط نفق مايه سبعة وخمسون جمل بالموت بعضهم سابق وجود عيا بهم ولم يحصل لهم أدنى تعب بالطريق وإنه مسرور عن تعريفه بالطريق التى صار استحسانها لمرور الجيش منها لكردفان وأوعد أن سيكون وصوله هنا فى يوم الثلاثاء القابل . (بالدويم) .

فى يوم السبت ١٥ سبتمبر سنة ٨٣ لم حصل شىء .
« « الأحد ١٦ « « « « .
« « الاثنين ١٧ « « « « .
« « الثلاث ١٨ « « « « .
« « الأربع ١٩ « « « « .

فى يوم الخميس صباحاً الساعة ١ عربى ٢٠ سبتمبر سنة ٨٣ بلغنا من الهجان الذى أرسل مخصوص لمناظرة الجيش وأعطانا خبر لقيامنا وبينما نحن مستعدين للخروج لمقابلته إذ تصادف وصول حضرة الكولونيل فركهار رئيس أركان حرب وعرف على أن سعادة الجنرال هيكس باشا سيصل مع الجيش

فى الساعة ٥ عربى وبعد المذاكرة مع جنابه عما قابلهم بالطريق قمنا حيث كانت الساعة ٤ عربى ومعنا جنابه للخروج ومقابلة الجيش وحينذاك قد اصطفت جميع العساكر الموجودة بهذه النقطة مع الباشبوزوق وقدرهم ثلاثة آلاف عسكرى للتعظيم لمقابلة الجيش وسعادة هيكس باشا وقد كان ، وقابلنا سعادة هيكس باشا بغاية التعظيم وسلمنا عليه حيث كان سعادته فى مقدمة الجيش ثم عدنا معه إلى الخيمة تعلق سعادة أفندى الحكمدار وتذاكرنا معاً عن أحوال سفره مدة غيابه الاثنى عشر يوم من أم درمان لحد هنا وكان فى غاية الممنونية من جميع العساكر والضابطان ثم فى الساعة ٧ قد استحضر الغدا الذى أعده له سعادة أفندى الحكمدار حالة كوننا مقيمين قبله بثمانية أيام —

فى يوم الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ٨٣ الساعة ٤ عربى نهاراً قد توجهت (فى وقته) لسعادة هيكس باشا مسافة نصف ساعة حيث كانت خيمته بعيدة عن خيمتنا وأفهمناه بأن لا يصح إبقاء الجمال فى هذه الحالة بدون خروج للمرعى نظراً لشدة احتياجنا إليهم و [بوقفة][1] سعادته دعا حضرة رجب بك وأخبره بالاستفهام عن السبب الموجب لترك الجمال هكذا بدون خروج إلى المرعى كسابقة الأوامر ولعدم إمكانه الرد على هذا السؤال أجاب محتجاً بأن لما نظر سعادة حسين باشا مظهر أمس تاريخه أجرى بعض إجراءات نحو توضيب المعسكر قد تصور بأن لربما أن يكون صدر لسعادته أوامر من سعادتكم عن ذلك حيث أن حضرته كان مستلم إدارة الجيش من وقت قيامه من أم درمان لحد هنا وكان حسن باشا مظهر مقيما هنا بالفرقة الأولى فأجابه بأن ما دام لم تصدر لك أوامر جديدة منى فما كيفية ارتكانك على تصورك الفاسد من بادئ رأيك الذى تسبب عنه تأخير الجمال بدون مرعى مدة الثلاثة وعشرون ساعة فاستعد حضرة رجب بك للقيام قائلا إن على حسب الأمر سأنظر فى خروجهم حالا وابتدى يعتذر بالعفو من سعادته — من هنا يعلم حصول الغيرة بين حضرة رجب بك وسعادة حسين باشا مظهر اللوا — فشكرت سعادة هيكس باشا على على ذلك ورجعت عائداً لخيمتى فى شدة الحرارة وبوقته حصل عندى نوع

(١) فى الحال .

تأثير حمى ومكثت بها يومين .

فى يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ٨٣ كنت عيان نوعاً .

« « الأحد ٢٣ « « ٨٣ الساعة ٤ نهاراً قد حضر سعادة هيكس باشا للمداولة مع سعادة أفندى الحكمدار عن الطريق الأسهل لمرور الجيش منها لكردفان وعن أن [المترآى] أن ٤ جى آلاى يقوم باكر يوم الاثنين لجهة شاه[١] لاستكشاف المياه وورود التقرير اللازم بمعرفة حضرة رجب بك الذى استلم قيادته ومعه المدافع اللازمة والخيالة وحصل الاتفاق على جعل [سته] فقط مراكز عسكرية وبكل منهم أربعمائة عسكرى جانب باشبوزق وجانب عساكر منتظمة ومدفع جبلى [وحصى][٢] وعطا لسعادته أسماء الجهات التى سيمر الجيش عليها ووجود المياه الكفاية بالآبار فضلا عن وجود برك أى فولات[٣] من الأمطار التى لا يضر الارتكان عليها نظراً لجسامة الجيش الذى يبلغ عدده وجماله وخلافه عشرون ألف روح تشرب مياه وأسما الجهات من الدويم لشاة إلى الزريقة[٤] إلى سراقنه إلى أنا رابى إلى العقيلة إلى جوهان إلى عبلى إلى البيلاب إلى أم شيخ إلى الرهد[٥] إلى الكزقيل إلى الملبس إلى الأبيض .

فى يوم الاثنين المبارك ٢٤ سبتمبر سنة ٨٣ الساعة ١١ عربى ليلا فى الصبح قام حضرة رجب بك بالآلاى الرابع ومعه مدفعين كروب وأربعة جبلى واثنان متروليوز قاصدين شات .

فى يوم الثلاث ورد تقرير من حضرة رجب بك بشات بخصوص المياه وأورى أن موجود هناك خمسين بير وعمقها من أربعة لخمسة قامات والمياه عمقها فقط متر ونصف تقريباً وأنه رأى فوله أى بركة مياه فى منتصف الطريق .

فى يوم الأربع المبارك ٢٦ سبتمبر سنة ٨٣ ورد تقرير آخر من حضرته

---

(١) شاة أو شات تقع غربى الكوة بمسافة عشرين ميلا و إلى الجنوب الغربى من الدويم .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل .

(٣) تطلق فوله على عيون المياه الصغيرة فى كوردفان أو البركة .

(٤) زريقة Zereiga حلة تقع جنوب غربى شات .

(٥) تقع الرهد عند منخفض فى السهل تتجمع فيه مياه الأمطار الغزيرة فى شهر يوليو وتبقى فيها أثناء الشتاء .

ومن الباشمهندس يورى فيهم كما أورى أولا وأنهم جارين تنظيف الآبيار لحين وصول الجيش وقد استقر الرأى مع سعادة هيكس باشا على قيام باقى الجيش ويتجه أيضاً باكر تاريخه يوم الخميس لجهة الشات بسلامة البارى .

فى يوم الخيس هذا اليوم صباحاً موافق ٢٧ سبتمبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى نهاراً صار قيامنا بالجيش المنصور من نقطة الدويم لجهة شات قاصدين كردفان وبعد مبارحتنا بأربعة ساعات صار ضرب صفاً(١) للعساكر المنصورة وفى الساعة ٦ عربى مررنا من على بركة مياه وسقينا الخيول والجمال فيها ثم بعد ساعة أيضاً وقفنا مسافة ساعة ونصف ثم قمنا ووصلنا شات الساعة ١٢ وقت الغروب (المسافة ٢٠,٩) وهناك تعسكرنا حيث كانت ليلة الجمعة .

يوم الجمعة المبارك أقمنا بشات وليلة السبت أيضاً ثم فى أثناء وصولنا لشات وبالنظر لكون أن الحركة التى صار عملها عند دخولنا من حيث عدم انتظام القلعة والتنبيه بالمرور أورطة أورطة حيث كان المحل الذى تعين معسكراً مستبعداً عن النقطة التى صار [تفريك] القلعة لها لا أقله ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف متر ولحصول الهيضة فى ذاك الوقت قد اشمئز جميع الضابطان والعساكر والحاضرين من غوائل ما لو حصل شىء أى ترقب عدولنا أو غيره كونها خطرة جداً قد حضر سعادة حسن باشا مظهر بحالة الزعل وأخبر سعادة أفندى الحكمدار بأن هذا غير جايز وغير تعريف سعادته أما أن تكون الإدارة لسعادة الجنرال هيكس باشا أو لسعادته أى حسين باشا مظهر حيث لو استمر الحال على هذا السير فلا بد من حصول خطر لهذا الجيش العظيم ويلزمنا دواما الاحتراس وأخذ يتكلم بألفاظ خلاف هذه ، فسعادة الحكمدار أمامنا أوعده عن حصول التكلم مع سعادة هيكس باشا عن هذا الخصوص لمناسبة أن ليلة السبت المذكورة كان من المستحيل الاستدلال على أى إنسان بالنظر لضخامة الجيش واتساع حركته فضلا عن ضجة أخوار الخيل والبغال والحمير والجمال الذى ينوف عددهم سبعة آلاف لا أقل ، وقد استمرت هذه الليلة بدون أن يعرف الضابط جنده ولا البلوك أورطته ولا الأورطة آلايه وهكذا ، وفى الساعة ٢

---

(١) صدرت الأوامر بإراحة الجند .

عربى نهاراً من يوم الجمعة قد حضر سعادة الجنرال هيكس باشا وبعده بعشرة دقائق قد حضر سعادة حسين باشا مظهر بخيمته سعادة أفندى الحكمدار بينما كنت أعرف سعادة الجنرال هكس باشا عما أتحرى سعادة حسين باشا مظهر من الكدر وفوران الدم حين دخول الجيش بشات بالحالة التى ذكرتها قبلا وأجابنى سعادته بأنه لا يرغب أن يرى قومنداناً آخراً بالجيش إذ أنه ليس إلا وكيلا لسعادته وأظهر مزيد الأسف قائلا نه كان لا يظن أن سعادة حسين باشا مظهر بهذه الحالة إذ الواجب على سعادته مخابرتنا عن ما طرأ بأفكاره وعدم حصول ما حصل منه فى حقنا المحققين بأن هذه المناورة التى حدثت عند دخولنا هى [مرض] أفكارنا ونحن على يقين من أن تعلماتى بشأن ذلك جرى أجراها غلطاً من الترجمان الخاص بسعادته وكنت إذ ذاك بعيداً عن مركز القلعة والمحل الذى أعطيت أوامرى وفضلا عما حصل لى من الأسف هل ينسب إلى الجهل مع كونى أديت مناورات حربية بجهات متعددة أغلب عمرى فإنى مستعد بغاية الأسف بالرجوع للخرطوم ما دام نسب إلى الجهل مَن هم تحت إدارته وإلا سأكون ملزوماً برجوعه الخرطوم ولأجل أن أفصح لكم تعلماتى التى أجريتها لتقفوا على حقيقتها أقول إن أمرى هو أن بالنظر لكون القلعة كانت مستبعدة عن النقطة التى صار تعينها بمعرفة حضرة رجب بك وكيل لوا ٤ جى آلاى الموجود هنا ووجود كثير من الزربيات والحفر والعشش القش التى هى سابق مساكن هذه الجهة المقتولين بمعرفة هجوم الشقى المكاشفى[1] وعدم وجود طريق طوغرية توصلنا إلى المحل الذى تعين لمعسكرة الجيش تراءى لى عدم إمكان وصول الجيش بهيئه قلعة إليها وأن وجود الزرايب والحفر ستكون مانعة للمرور قد أعطيت أوامرى بأن يكون المرور أورطة أورطة خلف بعضهم وعدم أخذ مسافة واسعة بالنظر لحسامة الجيش وترك الجمال بمحل القلعة حتى بعد أن يصير تعسكر الجيش يجرى حضورها خلفه بحالة منتظمة ، وليس كان القصد منها مخالفة أوامرى والتنبيه . بمرور أورطة أورطة لوحدها بدون كل أورطة لا ترى الأخرى الذى تسبب منه حصول هذا الغلط الخطر المهم فأجبته بأن سعادته

(١) أحد رجال المهدية .

لا يقصد بذلك التكلم بصدد حادثكم ولا ما نسبتوه إليه وفقط مع حصول هذه الحركة الخطيرة فإن رغب ما دام منحنا البارى بحسن عاقبتها أن الإجراءات المماثلة لذلك تكون بالمشاورة قبلا وتفهمينا عن الحركة المقتضى أعمالها لتكون العساكر والضابطان على معرفة بها حتى عند حصول الندا فمع سابقة التيقظ لا يحصل أدنى شيء ما دام أن سعادتكم أفصحتوا عن حقيقة أفكاركم وتعلياتكم فلربما يكون كما ظننتم عدم تتبع الأمر بصحة من المترجم ، وإنى أرى عدم اللزوم فى حصول أدنى كدر بينكما لأننا نحن الجميع فى أيديكم وضمان وصولها لأذهان الضابطان حفظاً من معلومياتهم بما وقع لئلا يكونوا بعدها غير واثقين بسعادتكم فعند ذلك حصلت المذاكرة بهذا الخصوص [معاتبتا] مع سعادة حسين باشا مظهر وكنت أنا الواسطة فى تبليغ كل منهما لهذا المجلس أمام سعادة أفندى الحكمدار بما ينطق به الآخر عشما فى نزع ما فى خواطرهم إذ الحالة لا تساعد مطلقاً ، وقد حصل الاتفاق على أن لا يحرر شيء من الآن فصاعداً إلا بأخذ أفكار سعادته مع بعض من الضابطان العظام حسب طلب سعادة أفندى الحكمدار فظهر غاية الأسف لذلك أيضاً ثم نزع سطعادة أفندى الحكمدار فيما هو لازم التكلم بخصوصه واستقر الرأى على حفظ نقطة شات بمائتين نفر باشبوزق وبلوك جهادية ومدفع واجد جبلى وأن يصير القيام من هنا أى الشات إلى جهة الزريقة بايكنجى ودورتنجى آلاى مع سعادة هكس باشا وسعادة أفندى الحكمدار لعدم تحققنا وجود المياه الكافية للجيش جميعه بجسامته التى أوضحتها قبلا وأن يصير إبقاء سعادة حسين باشا مظهر لقيامه مع برنجى واچتنجى آلاى وعمل نقطة استحكام صغيرة كافية على قدر الثلثمائة نفر الذين سيصير أبقاهم بشأنه وانتهت الجلسة على ذلك مما يؤسفنا غاية الأسف الزايد إن لشدة احتراز سعادة أفندى الحكمدار على الجمال النافعة لنا قبل كل شيء الحاملة لنا زادنا ومياهنا وجبخاناتنا وعفوشاتنا صدرت الأوامر بإخراج الجمال للمرعى هذا اليوم الذى هو يوم الجمعة فبالجملة جرى إخراج جمال حملتنا التى هى معية سعادة أفندى الحكمدار وتعين معها اثنين أونباشية وثلاثة أنفار لخفر الجمال وقدرهم ماية وكسور فأحد الأونباشية المسمى أبو الفارس سليمان الذى

أصله من الفرقة السابق توجهها مع سعادة المرحوم على بك لطفى وأخذ أسيراً بكردفان وفنيت عن آخرها كان حضر من كردفان فى يوم الثلاث ٢٥ سبتمبر سنة ٨٣ ونحن بالدويم أى قبل قيامنا منها بيومين وبحضوره حضر أمام سعادة أفندى الحكمدار وبالاستفهام منه عن حال وأحوال الشقى محمد أحمد بكردفان أوضح قد فر هارباً وحضر فى مسافة تسعة أيام ملتجئاً للحكومة ورغبته فى إلحاقه بعساكرها بعد أن أعطى بعض إجابات بشأن الشقى محمد أحمد كالذين جارى حضورهم قبلا بمثابته مشفقة من سعادة أفندى الحكمدار وطمعاً فى استجلاب قلوب الذين بكردفان وعلى الخصوص العساكر المأسورة هناك قد أمر بصرف شهرية بواقع استحقاق يومين الأونباشى وبدلتين هدوم ونظراً لفصاحته قد أمر أيضاً بأبقاه بمعيته والتوجه معنا لكردفان [حيث أن من هناك] فربما يكون خبيراً بالطريق أولى من غيره أو يستفاد منه عن بعض معلومات بأحوال كردفان آخذين بظاهره غير عالمين بضميره لشيء نحونا وحيث كان تحدد القيام من نقطة الدويم لشات فى يوم الخميس ٢٧ سبتمبر سنة ٨٣ فبعد قيامنا ووجودنا بشات فى اليوم المذكور وخروجه للمرعى فى ثانى يوم الذى هو يومنا هذا الجمعة إذ بلغنا فى الساعة ١ عربى ليلا أن قد انتهز فرصة الهروب فى وقت العصر الساعة ١٠ عربى بعد أن سرق جمل من الجمال وحمل بندقيته وعشرة دستات جبخانة وبدلة هدوم والماهية التى أخذها وفر هارباً لكردفان عالماً بحالنا وأحوالنا وساعة هيئة دخولنا بشأن زيادة عما نعلمه بخصوص كردفان وقد ظهر أنه جاسوس فصيح قادراً على أعمال الحيل التى بها يثبت للشقى وجوده معنا وحقيقة الأخبار التى يعطيها إليه بالبندقية والجبخانة والجمال الذى اغتنمهم بضبط توقيع حيلته على غاية ما يرام ، وحيث أن هروبه هذا لم يكن متصوراً بالبال حملة كافية كونه من زمرة العسكرية ولا نظن ذلك مع حسن التفاته سعادة أفندى الحكمدار إليه ، فقد سئل من الأونباشية الأخرى قبل الذى كان معه يرعى الجمال بمسافة تبعد عن الاستحكام بأربعة آلاف متروكسور عن كيفية هروبه وكيف تمكن ذلك مع وجودكم سوية فأجاب قائلا بأنه لا كان يعلم ما فى ضميره السيء إذ أن أصله عسكرى وأونباشى ومع حسن الالتفات إليه هكذا وتعينه بالمعية بعد أن كان

فى حالة الجوع والعرى فاستفهم منه عما إذا كان أمره بشىء قبل انتهاز فرصة هروبه فقال إن بعد خروجهم للمرعى صباحاً قد استئذن بالعودة للاستحكام لقضاء بعض لوازمات ويعود لى وقد كان . وتوجه وعاد ثم فى الساعة ١٠ تقريباً وقت العصر أخبرنى بأن يرغب التتميم على الجمال فأخبرته بأنهم تمام ثم قال لى أنه يرغب التوجه لجهة البير ويعود بالتالى وقد كان إذ أنى غير عالم لمقاصده فتوجه وأخذ جملا من أمامى الغير تابعين للمعية وركب عليه حاملا البندقية والجبخانة وأسر إلى بأن يقصد جهة البير ويعود وبوقته قد غطس من أمام عينى ولم أراه لحد الآن فعلمت أن لربما هرب وبحضورى من المرعى أخبرت البكباشى والملازم عنه وحيث كان الوقت أزف مسافة ثلاث ساعات وكسور تقريباً وأن توجهه لا بد وأنه يكون من طريق الغربى حذا شات لإمكانه الوصول إلى كردفان فى ظرف ثلاثة أيام فلم يمكن الاقتفاء بأثره وعن ذلك قد اندهش عقل الجميع مصممين على عدم قبول أى إنسان كان من هذا القبيل وأن يلزمنا زيادة الاحتراس فى القابل ولا شك من أن ما حمله على ذلك إلا موعده منهم بمقدار من النقود أو تأهيله [يخادمه] التى هى له الأمر المهم والأدهى كونه عسكرى أونباشة وله دراية بأحوال العسكرية نعم إن لم يأتينا من ذلك أدنى تغير بالفكر من حسنه لله الحمد [حسانه] قوتنا لكن كونه كان ناظر لحركتنا عند دخولنا بشات وهو الأمر الذى تسبب عنه حصول الزعل من سعادة هكس باشا وسعادة حسين باشا مظهر واشمئزاز جميع الجيش من هذه الحركة الخطرة كما أوضحت قبلا .

فى يوم السبت المبارك موافق ٢٩ سبتمبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ ونصف عربى صباحاً قمنا من شات قاصدين الزريقة واستمر المسير مسافة خمسة ساعات ونصف (ضربت صفاً مرتين)[١] ووصلنا لجهة يقال لها الهجليج ما بين شات والزريقة وهناك تعسكر الجيش بعد أن صدرت أوامر القومندان بقطع أشجار الصفصاف لأعمال الزريبة اللازمة وقاية للعساكر حيث استصوب المبيت بها ليلة الأحد وإرسال الكشافين اللازمة مسافة ثلاثة ساعات لتحقيق محل وجود المياه وفى انتظار الفرقة الثانية وهى ١ جى قوة ٣ جى آلاى تحت

(١) وذلك لغرض الاستراحة .

قيادة حسين باشا مظهر الذى حصل الاتفاق بقيامها ثانى يوم [كى عند حضورها] قد استحسن قيام الفرقة بأجمعها بدون جعلها فرقتين عندما يتحقق وجود المياه الكافية لها وفى الساعة ٧ ونصف عربى قد استقر كل فى موقعه أخذ الاحتراس كما جرت به العادة داخل الزريبة ثم فى الساعة ٩ ليلا قد أمطرت مطراً خفيفاً منه [الأمل] حصول السهولة فى الحصول على المياه وفى يوم الأحد بعد وصول الفرقة الثانية قد علم وجود المياه بكثرة .

فى يوم الأحد المبارك ٣٠ سبتمبر سنة ٨٣ قد حضرت الفرقة الثانية تحت قيادة حسين باشا مظهر فى الساعة ٦ ونصف عربى نهاراً بغاية الانتظام ومرت على الجهة اليمنى والزريبة التى نحن بها وبوقته جرى أعمال زريبة أخرى بمعرفتها لعدم إمكان تواجد الاتساع الكافى للفرقة جميعها وبتنا فى هذه النقطة المذكورة ليلة الإثنين ٩ أكتوبر سنة ٨٣ وفى الساعة ٢ ليلا من الليلة المذكورة حضر الخبيرى وعرف بوجود المياه بكثرة تكفى الفرقة بأكملهاوهناك حصل الاطمئنان (حيث لا يخفى جسامة الجيش كما أوضحت) .

فى يوم الإثنين صباحاً الساعة ١ عربى نهاراً موافق أول أكتوبر سنة ٨٣ قمنا من نقطة [عند] الهجليج قاصدين الخنفرية وبعد مسيرنا بأربعة ساعات وقف الجيش صفا أى راحة وقد تحقق وجود المياه فى الطريق كما لاحظنا ذلك وفى الساعة ٦ عربى نهاراً وصلنا نقطة الخنفرية وبها تعسكرنا بجوار بركة مياه وعند ذلك نبيت بها هذه الليلة وفى أثناء الطريق قبل الوصول حصلت محاورة بينى وبين حضرة رئيس أركان حرب الكولونيل فركهار بينما نحن راكبين [أجودتنا] حضر سعادة حسين باشا مظهر فافتتح كلامه بالقول أنه لم يصير تنفيذ أوامره فى صباح هذا اليوم فاستفهمت منه عما هى التى لم صار تنفيذها فأجاب بأنه [أمس تاريخه ليلا] قد أرسل أمر إلى حسين باشا مظهر بأن عند أعمال القلعة خارج الزريبة للسفر يقتضى فى أن الوجه الأول من الزريبة يصير فتح أبواب لخروج الآلايات منها أورطة أورطة وبعدها الجمال حتى يصير توضيب القلعة بالنسبة بالسير علما بأن ذلك ممكن تتميمه فى أقل من نصف ساعة وكان قد راى سعادة حسين باشا مظهر أن يصير رفع الوجه الأول بأكمله من

الزريبة أولى من فتح أبواب بها حتى يمكن خروج الجيش جملة وتواجده الذى هو الأصوب واحتراساً من العدو سأل سعادته حضرة الكولونيل فى عدم سماع أوامره فأخبرته بأنه فى الموقع ولو أنى عارياً معرفة القواعد الحربية لأن... حصلت المكالمة بشأن ذلك منه مع سعادة هكس باشا عندنا إذ أن عدم حضوره بالمجلس يعد كسر شرف له بما أنه من ذوات مصر الحربيين المعول عليهم فأجابنى بأنه لم يزل ممنون وكلفنى بالتكلم مع سعادته وسعادة أفندى الحكمدار أيضاً حيث كان سعادة أفندى الحكمدار مجاوراً لنا بجواده فأخبرته بذلك وحصل الوعد بأنه سيتكلم مع سعادته بهذا الصدد .

فى يوم الثلاث المبارك ٢ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ صباحاً قد تعين الجندى أحمد صبيح ومعه القبدان هراث[1] ومائة خيال لاستكشاف المياه بطريق شيراكنه لغاية الطرحة نفسها وكان منتظر وصولهم تقريباً فى الساعة ١٢ غروباً ولما لم يحضروا لغاية الساعة ٢ ليلا من ليلة الأربعاء صرنا جميعاً فى حالة الترقب لوصولهم وقد كان وحضروا حيث كانت الساعة ٣,٥ وبالاستفهام اللازم منهم أوروا عن عدم وجود مياه بالطريق خلاف بركة مياه لا تكفى أقل عدد من الجيش وكان من الغير ممكن وصولهم للطرحة وثبت ذلك أولا كما قيل من القبدان هرلث أنه بعد قيامهم من هنا بساعتين قابلتهم بركة مياه غير نظيفة وأخذوا فى المسير مسافة نصف ساعة بعدها وقبل وصولهم لحلال الخبيرى قد أخبرهم بأنه لا زوم للعبور من الحلال المذكور وأشير إليهم بطريق آخر وقد كان وسمعوا قوله ارتكاناً عليه بمعلوميته ومن سوء البخت قد استمروا فى المسير بالجبل مسافة خمس ساعات بعدها ولم يصادفهم سوى بركتين ميه ناشفين قد قيل منه بأن عربان البقارة لربما علموا بحضورنا من هذه الطريق فأوردوا بها بهايمهم ولم يتركوا لنا قطرة ماء وحيث أن المسافة صارت طويلة ولم نصل للطرحة فالأحسن رجوعنا ورجعوا من طريق خلاف الطريق الأولى متمسكين بالخبيرى وبمرورهم من على الحلال السابق التعريف عنه لم يجدوا به سوى فراخ بلدى وحمام ، وأما الأهالى وحيواناتهم فقد انتهزوا فرصة الهروب عند وصول الكشافين

(١) أحد ضباط هيئة أركان حرب الجنرال هيكس باشا .

وقد لوحظ لجنابه أن الخبيرى فعل ذلك مقصده منه فينا لعدم إدلالهم على الطريق وكان يقصد بذلك وقوعهم فى يد العربان أم الضل عن الطريق الهادية لهم للوصول إلى الجهة المطلوبة وأنه يتلاحظ من ذلك إعطاء أخبارية منه مقدماً للحلال بالهروب لأنه إن لم يقصد ذلك فعلا فلا كان يضلهم عن الطريق والدخول فى وسط الغابات التى وجد بها أشجار كثيرة وحشيش ارتفاعه يسقط الراكب عن نظر الأعين ولعدم تمكنه من الفرار قد أتوا به بغاية التحفظ غير عالمين بمعسكر الجيش ولحسن الحظ قد سمعوا النفير يضرب من بعد فقصدوا صوته اثنين برناته مستدلا به عن الجهة المعسكر بها الجيش وقد كان وحضروا ولو لم يكن ذلك لتاهوا جملة كافية فى الخلا على اتجاه الجهة الشرقية وأما قول الثانى وهو الجندى فقال ان بعد القيام من هنا بساعتين نظروا بركة مياه فى طريقهم لا تكفى للجيش فاستمروا فى السير مسافة صغيرة ولما لم يجد مياه فبعد أن مشى مستقيما بالطريق فقد مال لجهة الشرق متعشما فى وجود بعض برك مياه التى كان يعبرها فقد كان بهذه الجهة بما أنها مسكنه الأصلى الذاتى وبعد قطع جزء منها قد شوهد اثنين من العربان مرسولين بصفة طلائع من طرف الشقى محمد أحمد وحالما حققوهم فروا هاربين على أقدامهم فاقتفوا أثرهم راكبين بخيولهم بوصولهم فأطلقت عليهم نيرانهم فقتلوهم الاثنين وفى هذه الأثناء زاغت عنهم طريقهم ولم يمكنهم العودة للخلف ولا التقدم أمام فحاولوا أنفسهم وهو لم يزل مرشدهم فقطعوا مسافة ميلين لم يرجعوا خلفهم وبعد مسافة ثلاثة ساعات قد تحصلوا على طريقهم وحضروا وأن ما أخبروا به هو بخلاف إذ طمعهم فى الاثنين العربان هو الذى أهملنا عن الطريق وبهذه الواسطة ما أمكن الوصول للطرحة ولم يعلم حقيقتها وأما البركتين مياه السابق الإيضاح عنهم فوجدوها ناشفين وعلمنا وجود بعض عربان البقارة قبل وصولنا ببضعة أيام وانتهزوا فرصة سقى مواشيهم قبل الوصول (مسألة قتل الاثنين عربان طلائع محمد أحمد قد أوضح عنها جناب القبدان المذكورة فى تقريره الواضح قبل هذا) فالتأم المجلس حينذاك باحثاً فى نتيجة هذه المسألة محققاً لعدم وجود مياه أمامنا وخلفنا كقول سعادة الجنرال هكس باشا بأنه ما دام عربان البقارة قد أحضروا مواشيهم وسقوها

أمامنا للعلم بأننا صرنا بعيدين عن مركزنا الأصلى فمن المحتمل أن العربان المارين بجهة أراضيهم ما دام لم يقابلونا فلربما يريدوا إعدامنا بإتلاف ما تركناه من المياه خلفنا مع العلم بأن النقطة المقيمين نحن بها الآن لا تكفينا زيادة عن أربعة وعشرين ساعة فمن ذلك قد وقعنا فى دائرة الحيرة وأن رأيى لسعادته هو انتقال أورطة حالاصبح باكر تاريخه للبركة المياه التى تركناها خلفنا مسافة ساعة ونصف لأعمال زريبة حولها وعدم تمكين أحد من الوصول إليها لغاية ما يصير إرسال قوتنا بمياه ٤٨ ساعة طوغرى لغاية الصراخنة بعد حضور من سيحرر تعيينهم باكر للاستكشاف ثانى مرة كما أن العساكر الخيالة السابق إرسالهم قد تأخر منهم خمسة باشبوزق بخيولهم ثم قبل قفل حوادث يومنا تاريخه يلزمنا التعريف هنا عن الجلسة التى صار عقدها فى الساعة ١٢ عربى غروباً حسب طلب سعادة الجنرال هكس باشا بناء على ما صار تفهمه من سعادة أفندى الحكمدار من عدم لزوم وضع نقط خلفنا نظراً لما شاهدناه من أن لم يحضر لطرف سعادته أحداً من العربان أو المشايخ للطاعة لسابق الإنذار من سعادته لهم بأن لا يحيق بهم سوى التلف وأنه عفا عما سلف فاجتمع المجلس مركباً من سعادة الجنرال هكس باشا وسعادة أفندى الحكمدار علاء الدين باشا وسعادة حسين باشا مظهر لوا الفرقة وحضرة الكولونيل فركهار وحضرة سليم بك عونى ميرالاى برنجى آلاى وحضرة رجب بك ميرالاى ٤ جى آلاى ونحن فرغب « الجنرال هكس باشا » بعد ما حصلت المداولة فى شأن النقط وحفظ خط الرجعة خلفنا حتى يمكن وصول اللازم لنا من جهة الدويم بطريقة أمينة عن كل منهم يلزمه أن يوضح أفكاره لوحده فأجاب سعادة حسين باشا مظهر بأنه يعطى القول منه بعد إعطاء أقوال حضرات الميرالايات فأجاب حضرة رجب بك بأنه وإن كان وضع النقط العسكرية لحفظ خط الرجعة هو من أصول العسكرية ومن الضرورى لكن من حيث أن الجيش الموجود معنا هو كافى فقط للمقاومة ولا يصح أخذ ما يلزم منه لحفظ النقط إذ أن ذلك لا يكون إلا نقصاً فى القوة فيرى عدم اللزوم فى أعمال النقط المذكورة لحفظ قوتنا الموجودة بأجمعها وبعدها أجاب حضرة سليم بك عونى بما هو من هذا القبيل

والإقرار على عدم لزوم النقط المذكورة وتغيرها أجاب سعادة حسين باشا مظهر بأنه لايصح تقدم الجيش بدون أن يجعل له خط رجعة حفظاً له وحضور ما يلزم للجيش من جهة الدويم وإذا لم جعلنا النقط خلفنا فلا يعد ذلك إلا خروجاً عن حد القانون العسكرى فقال سعادة هكس باشا بأن ذلك ضرورى ولكن بالنظر لما أبداه سعادة أفندى الحكمدار فقد عمل هذا المجلس بقصد أخذ أفكاره عن ذلك والإقرار منه بما يلزم أجراه فأجاب سعادة حسين باشا مظهر بأنه ما دام لم يصر أجعال النقط المطلوبة خلف الجيش قولا بأن تنقص هذه القوة لا يصح ولما أبداه سعادة الحكمدار فلأجل عدم الاستهزاء منا فى المستقبل أرجو الاستفهام مقدماً عما جرى فى الخمسة آلاف عسكرى السابق طلبها من الحكومة الذى كان طلبها مبنياً على أعمال النقط خاف ايلجيش ومن أجل ذلك فقد عمل واحد لواء عليهم وموجود الآن بالخرطوم فلعلمى بأن ٥ جى و ٦ جى آلاى السابق طلبهم سبق حضورهم وموجودين الآن بالخرطوم فالقصد إرسال ما يلزم من العساكر من الخرطوم للدويم بحسب ما يلزم لكل نقطة أولى من قطع خط رجعتنا الخارجة عن حد القوانين جملة كافية فقال سعادة هكس باشا بأن الخروج عن الموضوع لا يصح وإنى لا أرغب سوى أخذ إقراركم بأن القوة الموجودة معنا لم يكن خلافها وعلى ما أبداه سعادة الحكمدار هل لم يزل ضرورى أعمال النقط وتنقص القوة الموجودة معنا فأجاب سعادة حسين باشا مظهر بأنى لا أرغب أن أكون مسئولا فيما بعد وأن ما هى الطريقة التى يمكن جلب ما يلزم للجيش فيما بعد تقدمنا إذا احتاج الحال فقال سعادة هكس باشا بأن ذلك ممكن تدبيره فيما بعد عند وصولنا بسلامة البارى وأن عندما نظفر بالأعداء فعوضا عن حضور لوازمات الجيش من هذه السكة فوقتها يجرى حضورها من طريق آخر يكون أسهل من هذه فأجاب سعادة حسين باشا مظهر بأنه لا يقر على عدم لزوم النقط مهما كانت الحالة لأن ذلك من الضرورى فقال سعادة هكس باشا بأنى أعلم بأن وضع النقط هو من المهم لحفظ خط الرجعة ولذلك فقد عقدت هذا المجلس لأخذ أفكاركم وإقراركم فيه ليكون معلوماً ذلك لدى عموم الدنيا بناء على ما أبداه سعادة الحكمدار

العالم زيادة عنا بأحوال هذه الجهات لئلا يقال لو سمح أنه لو حصل شيء إلينا أن السبب الوحيد فى ضياع العسكر ما هو إلا يكون فى تسليم لقيادة جيش عظيم كهذا إلى هكس باشا الحربى الجاهل فى عدم فطنته بضرورة وضع النقط خلف الجيش العظيم لحفظه من غدرات العدو لأنى غير مبال بما يقال فى حقكم فأجاب سعادة حكمدار عموم السودان بأن من رأيى هو أنه بالنظر لعدم مقابلتنا بأحد من العربان ولا مشايخهم من عهد قيامنا ، وثم لحد هذا ومنذ ذلك لا يرى سوى امتداد خروجهم عن طاعة الحكومة وأن العساكر السابق الاتفاق على وضعهم بالنقط لا يكن كافياً لحفظ خط رجعتنا ولربما يطمع بهم العربان بعد تقدمنا بالجيش وذلك لا يمكن لأحدنا منفعة بالآخر وفقط ما هو إلا تنقيصاً فى قوتنا الحالية ولزيادة علمى بحال وأحوال السودان وعربانه فأرى عدم لزوم وضع نقط خلفنا وتقدمنا بالجيش جميعه لجهة الأبيض [وعنه تعالى] بعد الفتك بهم فمن جهة التعيينات وما يلزم للعسكر وقتها يصير حضوره من الطريق التى مسافتها لا تزيد عن سبعة أيام فضلا عن أن بعدها محققين بأن العربان تكون فى يدنا أولى من تفريق قوتنا هنا مائتين وهناك ثلثمائة التى لا تنتج منه سوى تضعيف قوتنا واستهزاء العربان بنا وعدم ارتكاننا على مما يقال بأن القوة الموجودة مع محمد أحمد لم تكن شيء وأن ما دام أن سعادتكم قومندان الجيش والموجودين هم رؤساء الجيش فالذى يتراءى لحضراتكم لا مانع من النظر فيه فأجاب سعادة هكس باشا بأن الصوت الأقوى هو عدم وضع النقط وأن كلا من سعادتكم يضع أفكاره وإقراره مكاتبة وإرسالها إلينا لحفظها بطرفى فأجابوا جميعاً بالقبول وانصرفوا عازمين على تقديم فكر كل منهم كما رغب سعادته وبقينا نحن وسعادة هكس باشا وسعادة أفندى الحكمدار وحصلت المذاكرة فى شأن ذلك أيضاً ولم تذكر أدنى موانع خلاف ما أبانه سعادة أفندى الحكمدار ثم استأذنا وقمنا راجعين لخيمتنا[١] .

فى يوم الأربع المبارك ٣ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١١ عربى صباحاً قام لأجل الاستكشاف حضرة الكولونيل فركهار رئيس أركان حرب ومن لزم

١ — لاحظ أهمية ماتخذه المجلس من القرار الخاص بالنقط العسكرية

من الظابطان وأربعة خبراء خلاف الاثنين السابق إبقائهم أمس بتاريخه وفى الساعة بعينها قد قامت الأورطة التى تعينت لحفر البركة التى أوضحنا عنها خوفاً من حضور العربان إليها خلفنا لحين ما يرد الخبر المفرح عن وجود المياه بطريق الصراخنة [أو يصر أخذ نفسها] ومع حضرة الكولونيل أيضاً مائة و سون خيال وقد نبه عليه سعادة هكس باشا بأنه لم يكن مصرح لمقابلة أعداء مهما كان عددهم وفى الساعة ٢,٠ ونصف عربى ليلا قد حضروا وأوروا عن وجود بركتين مياه تبعد كل منها عن الأخرى مسافة ساعتين ونصف بالحصان مسافة حملة الجيش يوم واحد وصرنا مطمئنين من ذلك ثم بركة أخرى بالصرخنة تكفى الجيش يومين مع وجود الأبيار وبناء على ذلك قد عين سعادة هكس باشا واحد بلوكباشى وثلاثة عساكر حاملين خطاب من سعادته إلى بكباشى الأورطة الموجودة بحفر البركة فى الساعة ٣ يأمرهم بالحضور باكر تاريخه صباحاً للقيام معنا لجهة البركة الأولى المسماة أم سدرة وبعد دخولهم للأورطة قد دخلوا الثلاثة عساكر عازمين على المبيت بالأورطة لحد الصباح أما البلوكباشى فقال إنه يرجع بالثانى حيث كانت الساعة ٥ ليلا تقريباً .

وفى يوم الخميس ٤ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى صباحاً حضرت الأورطة من نقطة الحفر ولم تجد البلوكباشى المذكور وبالاستفهام قيل إنه بعد أن أوصل الخطاب إلى الأورطة فالثلاثة عساكر عزموا على المبيت ، وأما هو فأخبرهم بالعودة للجيش حيث كانت الساعة ٥ عربى ليلا ولم يعلموا أين توجه فواأسفاه عن فقد هذا الرجل الذى حضر من التاكا قاصداً التوجه مع الجيش صحبة سعادة أفندى الحكمدار واتته هذه المصيبة التى لم تكن تنتظر وقد بلغ الخبر الجيش عموماً عن فقد هذا الرجل ولعدم إمكان إرسال من يقتفى أثره لمناسبة قيام الجيش فبعد وصولنا إلى نقطة أم صدرة كانت الساعة ٦ عربى نهاراً وبعد أن صار أعمال الزريبة اللازمة للمعسكر فقد حضر لطرف سعادة أفندى الحكمدار وسعادة هكس باشا شخصين بلوكباشية موجودين معنا من أقاربه بحالة الأسف وأخبروا سعادتها بأنه لا ينبغى لنا التوجه من هنا ما لم نرجع خلفنا للبحث على جثته لا أقل وأما إذا علمنا أنه ضل عن

الطريق كونه كان ليلا فأجابهما سعادتهما بأنه يخشى على فقدهما الآخرين من العربان وأنه لا مانع من أن يأخذوا معهم خمسين خيال ويرجعوا لغاية البركة المذكورة وهناك يقتفوا أثره ويعودوا [محموداً] سعادتهما على ذلك وقاموا بوقتها مع الخيالة وعادوا من هناك الساعة ١ ليلا قائلين بأنهم لم يجدوه مطلقاً وأنهم أخذوا يتبعون أثره مسافة طويلة زيادة عن ساعتين بالخيل فدخلوا فى وسط القش وهناك وجدوا أثره دالا عن كون المفقود لما وصل إليها وعلم أنه تايهاً عن الطريق وقف يجول بحصانه يميناً وشمالاثم مال بحصانه بحرى غربى ولكثرة الحشائش فى تلك الجهة لم يمكنهم قص أثره فعادوا خائبين باكيين على صديقهم تاركين العوض لوجه الله ثم بتنا فى تلك الليلة وهى ليلة الجمعة ٥ أكتوبر سنة ٨٣ بنقطة أم سدرة .

فى يوم الجمعة المبارك سنة ٥٣ الساعة ١٢,٥ صباحاً عربى قمنا من أمسدرة قاصدين رهد العبيد ووصلنا هناك الساعة ٦,٥ عربى بعد مكابدة الأتعاب فى المرور من وسط الغابات وبها تعسكرنا ليلة السبت المبارك .

فى يوم السبت المبارك ٦ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢,٤٠ صباحاً قمنا من رهد العبيد قاصدين الصراخنة ووصلنا فى الساعة ٥ عربى نهاراً بعد مكابدة الأتعاب فى المرور من الغابات وزرع الأزرة وبها تعسكرنا ليلة الأحد المبارك — فى الساعة ٨ عربى بعد وصولنا حضر بطرفنا حضرة الكولونيل فركهار رئيس أركان حرب وأخبرنى بأن صادق أفندى الحكمدار أن بالنظر يكون موقعنا الحالى محتاطاً بكثير من المرتفعات المرتفعة جداً من صنف الأزرة وقليل من الكامات ترأى لسعادته عدم لزوم إقامتنا بها معرضين أنفسنا للخطر والأحسن القيام من هنا باكر صباحاً لنقطة تورابى وهناك تؤخذ الراحة التامة للعساكر وبأخبارية سعادته بذلك وافق ما أبدى له فأفهمت حضرته بذلك لمخابرة سعادة هكس باشا كما رغب .

(سهى علينا أن نتذكر حادثة يوم الخميس الماضى أول من تاريخه وهو أن بعد وصولنا لنقطة أم سدرة وتعسكر الجيش بها وعمل الزريبة اللازمة واستعدينا لأخذ الراحة من التعب إذ سمعنا طلقتين على بعد وحضر واحد سوارى من

الكشافين على بعد ألفين متر وزعق بنفيره (زنهار) فهاجت جميع العساكر والبروجيين لاستعداد القلعة واستعداداً لضرب النار على قدم واحد وقد جرت المدافع من محلاتها لموقعها المعد لها فاكرين بحضور عربان إلينا للجهوم وحسب ندا السوارى وبعد برهة قد علم بأن بمرورا السوارى من أمام بركة مياه إذ وجدوا اثنين عربان جواسيس يأخذوا مياه فطلقوا عليهم البنادق فقتلوهم ولما استشعروا بروجى السوارى بذلك نادى بكبسه على الجيش وما هى إلا . . . . . . وقد رجعنا لمحلاتنا بوقتها) .

فى يوم الأحد المبارك ٧ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ و ٤٠ دقيقة صباحاً عربى قمنا من نقطة الصراخنة وصلنا لنقطة خور الصاغ الساعة ٦ عربى نهاراً وبمرورنا على حلة ولد صبيح قد وجدنا بها رجل من العربان عمره يفوق التسعين سنة وبالاستفهام منه عن وجود هذه العربان أهل هذا الحلال أوردا بأنهم هربوا بجميع عائلاتهم قائلين بأن الأتراك حاضرين ونحن لا يمكننا مقابلتهم وقصدوا جهة تورابى للتجمع هناك كما [حل] ولما لم يكن خلافه بهذه الجهة وما تركوه إلا العجزه فلذلك قد أخذناه معنا للجيش وأمر سعادة أفندم الحكمدار بوضعه على أحد الجمال وبعد المسير بأقل من عشرين دقيقة وقع من فوق الجمل إلى الأرض فمات حيث كانت [تناديه البهائم] وعند وصولنا الحلة وجدنا ولد صغير ومن قبل تعسكرنا وجدنا أمرأة عجوزه تبلغ عمرها حوالى ثمانون سنة تقريباً وبنت عاجزة صغيرة عمرها لا يتجاوز الخمس سنوات قد أخرجوهم عساكر الاستكشاف [قبل البدو فى (صرف) الحلال] وبالاستفهام من المرأة العجوزة عن أهل هذه البلدة أجابت بأنهم فروا هاربين قائلين بأن الترك قد حضرت ولا يمكننا مقابلتهم ولذلك قصدوا جهة تورابى أى الخور من منذ يومين مضت وأما هى فلعجزها لم أمكنها وبالاستفهام عن والدة هذه الطفلة الصغيرة أورت بأنها لا تعرفها إلا هذه الساعة وأن والدتها تركتها وهربت ولعدم اللزوم بها تركناهم حيث كانوا ، وأما البلدة فلم يترك بها بيت بدون حريق كما هو جارى بباقى جميع الحلات التى هى بطريقنا .

فى يوم الإثنين المبارك ٨ أكتوبر سنة ٨٣ قمنا من نقطة خور الصاغ بطريق

تورابى التى هى كما قيل تبعد عن تورابى بمسافة ساعتين الساعة ١ عربى صباحاً قاصدين تورابى وبعد مسيرنا بساعة ونصف قابلتنا غابة فى مواجهة الجيش ولكون غير ممكن المرور منها ووجود زراعة أزرة على شمالها فبعد الاستكشافات اللازمة قد استقر الرأى تدوير القلعة إلى الجهة اليسرى حتى بعد تمكنا من مرور الغابة يجرى تدويرها للجهة اليمنى للسير على المحور الأصلى وبينما كانت الرويسا وسعادة الجنرال هكس باشا مشتغلين فى الكيفية البادئة الذكر أو على بعد استشعرنا بضرب عيارين نار منها صرنا نلتفت يميناً وشمالاً فلم نرى شيئاً بالنظر وحيث كان هذا الموقع فى غاية الصعوبة فلم يسمح [البارو] بحصول شىء بعد أن صارت القلعة فى شديد الاستحفاظ ثم تحقق عدم صحة لهذا الخبر وسرنا قاصدين تورابى وبعد وصولنا وتعيين المحل الذى ينبغى أن للجيش التعسكر به بحسب تعريف حضرة رئيس أركان حرب توجه أحد الخبراء المدعو الحاج إبراهيم من أهالى الكوه الذى أحضره سعادة أفندى الحكمدار لسابق معرفة صداقته مع الجيش لجهة الجبلين ويكونه العالم بطريق كردفان ومحال وجود المياه لاستكشاف بركة مياه قريبة من معسكر الجيش بمسافة نصف ساعة مع اثنين خبراء إذ صادفا حين وصوله مع رفقائه للبركة جمعين من العربان ودراويش الشقى محمد أحمد جالسين بدائرة البركة مختفين وهجموا عليه هو ورفقائه فأطلقوا العربان عليهم النار فلم يصبهم شىء ولكونهم وجودهم يزيدون عن قوتهم ولا محالة لفرارهم قد رجعوا خلف طريقهم وفى الأثناء أخذ أحد العربان المذكورة قد تحكم فى إصابة الحاج إبراهيم بحربة فأصابته فى ظهره ومن شدة الألم قد سقطت من يده البندقية إلى الأرض فانجبر حرصاً عليها غير عالم بما يذوقه بعدها ولا سباها باسترداد ركوبته وهو الجمل كى يمكن من أخذها وحينذاك قد أتوه جملة من العربان من حيث لا يعلم راغبين اغتصاب الجمل منه بعد أن أحدهم قبض على البندقية فتمكن من الرش فأتاه آخر وضربه بالسيف فى يده اليسرى فانقطعت ثم قبض بيده اليمنى على الرش فأتاه آخر وضربه بالسيف فى يده اليمنى فقطعها أيضاً ولوقته سقط على وجهه مغشياً عليه فأتاه آخرين وطعنوه بثلاثة ضربات فى ظهره وسيف آخر فى رأسه

وأخذوا الجمل وما عليه والبندقية أيضاً وفروا هاربين بأجمعهم ، وأما رفقائه فحضروا راجعين إلينا مخبرين ببعض مما حصل فأخذت الاحتراسات اللازمة بالنفطة أي بالمعسكر وأمر بأعمال خندق وقد كان وعمل ثم فى الساعة إحدى عشر تقريباً من النهار بمرور الكشافين التابعين لنا من الجهة التى ضرب بها حميد السيرة الحاج إبراهيم وجدوه واقف على قدميه راجياً إمكانه الوصول إلينا فحملوه وأتوا به إلى المعسكر بالصفة المار ذكرها فحصل لجميع العساكر والرويسا مزيد الأسف والكدر على غدر وقساوة هؤلاء الأشقياء جعل هذا الصادق الخبير أعجوبة كما بالفرنجة يزعمون ولوقته دعى حضرة خلوصى بك حكيمباشى الجيش وبعد أن كشف عليه لمعرفة آلامه قد أجرى الوسابط الحكمية [. . . شفاه غير منتفعين به] وكان دخولنا للمنطقة المذكورة فى الساعة ٧ عربى نهاراً وفى الساعة ٣ عربى ليلا حضر لطرفى أحد أركان حرب من قبل سعادة الجنرال هكس باشا راغب استئذان سعادة أفندم الحكمدار بالحضور لطرف سعادته للمذاكرة فيماهولازم إجراؤه وحيث كان سعادته نظراً لما اعتراه من الكدر بشأن الحصول على المياه والصعوبة الحاصلة فى تقدم الجيش لجهة الأبيض [وإمكانه] على الجنرال اعتقاداً لمعرفتهم حقيقة الطريق ولما أخبره به سعادة حسن باشا مظهر بالبوصلة الواردة فيه من أن القيام سيكون باكر تاريخه بناء على ما ورد من سعادة القومندان هكس باشا قد عزم على النوم آخذا فى التفكير فيما يكون غداً فأخبرته بذلك فتوجه وأخبر سعادته وعاد يطلبنى من أجل هذا القصد وقمت وتوجهت لسعادته فاستفهم منى عن ذلك فقلت له إن سعادة أفندى الحكمدار نام [للمناسبات كذا] وكذا التى أشرت عنها قبلا فأجابنى بأنه لم يأمر بقيام الجيش وأن لا يلزم سعادته أن يعتنى بأوامر أو بأخباريات خاصة بالجيش إلا أن تكون منه شخصياً وأنه لا يرى لسعادة الحكمدار أدنى دخل من هذا الخصوص وبما أنى مستعد الآن للمذاكرة من فيما يكن غداً بخصوص السفر وتعزيز المياه وكونه نائم فلا شك من أن ذلك يكون سبباً فى تعطيلنا باكر إذ أن هو حاكم هذه الجهات ونحن تابعين له فيما يكن خاصاً بالقيام والمياه فأجبته بأن إذا كان ولا بد من

القيام باكر فأرى أنه لا يكن لسعادتكم حق فى نسبة عدم القيام إليه أركاناً على عدم إخبارية سعادتكم إليه وبما أن البوصلة الواردة لسعادته ما هى إلا نبأ على إخباريتكم وأمركم الرسمى لسعادة حسين باشا مظهر فأرى أن لسعادته حق الزعل من ذلك إذ أنه هو الأحق بمعرفة قبل كل إنسان ولا يجوز القيام من نقطة إلى نقطة إلا بعد علم وإعطائكم القول الكافى عن الطريق وفيما إذا كان موجود بها مياه أم لا ومع ذلك ما دام سعادتكم أوضحتم ذلك فالأصح أن لا يقال شيء فى المستقبل مع علمى بأنه له حق فى ذلك فلا مانع من أن أتوجه لسعادته وأنظر كى يمكنى إيقاظ سعادته وتفهمه بذلك كله وهو المخير فى الحضور من عدمه وأريد أن تسمح بذلك وقمت وتوجهت لسعادة أفندى الحكمدار وأيقظته من النوم وبعد تفهمه فيما أخبرنى به سعادة هكس باشا أخبرنى بأنه لا يرغب التوجه إليه فى هذه الحالة وأنه مكتفى بالبوصلة الواردة لى بناء على أمر سعادته وما دام سعادته يرغب حضور الخبراء فهاهم موجودين ولا مانع من أن يتوجهوا معك وأنت عوضاً عنى إذ لا يمكنى الخروج الآن بما أنى عرقان فأخبرت سعادته بأنى أعلم الحق لكم ولكن لأجل أن لا ينسب التأخير لسعادتكم فغاية رجايا أن يصرف ما عندكم من الزعل بما أننا وصلنا بسلام إلى نصف الطريق ومع ما هوحاصل والمواردة فى السابق أظن إن كافى لحفظ هذه النادرة ببال سعادتكم ولا يكن أدنى باعث فى التشبث فى الحالة الراهنة وسعادتكم أعلم بذلك زيادة عنا فحمداً لله قد قبل منى ذلك وقمنا مع سعادته والخبراء وتوجهنا بهم لسعادة هكس باشا حيث كان ينتظرنا وعند مقابلة سعادته قابل سعادة أفندى الحكمدار بغاية الاحترام وأخذ يعتذر لسعادته لا [ينبغى] أن يتبع أخباريات ما لم تكن منه ذاتا الخاصة بقيام الجيش وقد علم أن الذى أصدر الأمر بالقيام هو حضرة الكولونيل فركهار رئيس أركان حرب قولا منه بأن حضر لسعادة هكس باشا قبل المغرب وهو نايم واستفهم منه عن القيام باكر فأجابه بالقبول وبناء عليه [توقفه] حضرة الكولونيل حرر لسعادة حسين باشا مظهر إعلاناً بالقيام فأجاب سعادة هكس باشا بأن لا يعلم ذلك مطلقاً وأنه لم يتصور أن أحداً حضر إليه مستفهماً عن ذلك

فأخذوا يجاوبون بعضهم كلام مناقض الآخر فرجونا سعادته بأن لا لزوم الآن للتحمل مع بعضكما وأن هذه قضية لا ينبغى المكالمة فيها إذ لله الحمد لم ينتج أدنى شىء مضر فيها فسكتوا الاثنين وفتحت المذاكرة من سعادة أفندى الحكمدار وهكس باشا بشأن القيام باكر وما هى معلومات الخبراء فى وجود مياه من عدمه فأجاب سعادة أفندى الحكمدار بأن هؤلاء هم الخبراء وأنه يلزم للاستفهام منهم عما ترغبوه سعادتكم ليكون ذلك معلوم بطرفكم فقبل سعادته ذلك ودعى أولهم أحمد صبيح واستفهم منه هل تعلم جهة العقيلة فأجاب نعم هل موجود بطريقها غابات فأجاب لم يكن فيها غابات غزيرة وفقط أشجار خفيفة وزروعات بكثرة ممكن عبور الجيش منها بطريقه سهلة . ما مقدار مسافتها فأجاب مسافتها كالمسافة بين شات والدويم هل موقعها على النيل وهو الخير كما تقولوا فأجاب نعم إن العقيلة هى ليست بلدة معلومة بنفسها وإنما هى نقطة موجودة بها بير يسمونه العقيلة وموجود بجواره كثيراً من الحلالات وجميعها تسمى جهات العقيلة وموقع هذا البير هى محكم على خور النيل هل محقق وجود المياه بالخور نعم هذا فى كل سنة يملى بالأمطار وتمكث به المياه تجرى طول السنة ولاتساعه يسمونه النيل عظيم جداً هل كنت تقيم هنا قبلا أم كيف معلوميتك به فأجاب بأنه أقام بهذه الجهات مده عشر سنوات وكان تاجراً فى وقتها ويعلم حقيقتها وكان يسوح منها وإليها فأخبره بالتوجه وحضور واحد آخر فحضر بكير أخاه فسأله هذا جميعه فأجاب بمعنى الأول وفقط إن كان حاكماً بهذه الجهات فى مدة موسى باشا حكمدار السودان أول فأخبره بالتوجه وحضور آخر فحضر واحد بعد الآخر فأجابوا بما لا يخرج عن مضمون الأول فانصرفوا جميعاً وحققنا معرفة النقطة المتوجهين إليها وزيادة عما توضح من الخبراء فقد قيل من أحمد صبيح الخبير الأول بأنه قد كان بهذه الجهة يعلم وجود برك مياه فى منتصف الطريق بين هنا تورانى والعقيلة ببلدة يقال لها الحُمَد وعلى ظنه أن يوجد بها مياه وبالنظر لما أبداه الخبيرى من وجود مياه على الظن بمنتصف الطريق بالجهة التى ذكرها رغب سعادة هكس باشا بإجعال هذه النقطة محطتين لراحة العساكر وعلى ما قيل إنه يظن تجمع

العربان بجهة العقيلة استقر الرأى على القيام بالجيش باكر تاريخه كالعادة وبعد المؤانسة قمنا عائدين لمحلنا .

فى يوم الثلاث المبارك ٩ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى نهاراً قمنا من نقطة تورابى قاصدين الحُمَد أوالسنيطة وهما فى منتصف الطريق لحد العقيلة كما عرف بذلك الخبير ووصلنا لجهة الحُمَد فى الساعة ٧ عربى نهاراً داخل غابة صغيرة وبها تعسكرنا وعملت الزريبة اللازم كالمعتاد وقد وجد بها كم بير غير مستعملين وبوقته توجه من لم يكن عنده مياه وأخذوا كفايتهم وبتنا بها ليلة الأربع وباكر تاريخه قايمين للعقيلة التى هى كالمسافة من تورابى لهنا كما عرف بذلك الخبيرى .

فى يوم الأربع المبارك ١٠ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى نهاراً قمنا من نقطة الحُمَد قاصدين العقيلة وصرنا نقطع الطريق بين غابات وزروعات بغاية الصعوبة لغاية الساعة ٧ عربى نهاراً ولم كان يعلم لنا موقع الجهة القاصدين إليها فضلا عن كوننا كما علمنا أننا سنصل للحوار الذى ارتكن عليه كثيراً من من العساكر ولم يأخذوا كفاية لا أقله يومين مياه وحيث كان خط مسيرنا فى اعوجاج لعدم وقوف الخبيرى على حقيقة الطريق فما قاسيناه من الأتعاب تارة ومن العطش الزائد أخرى شىء فيما لا ينبغى التعبير عنه خوفاً من تكدير من يهمه أمرنا ولكن من حيث ابتدينا بالدخول فى هذا الحد فلأجل أن يعلم حال الجيش وبهدلة العساكر من شدة العطش أرى الوجوب على نفسى أن أفصح الحقيقة على قدر ما يصل إليه علمى غير مبال بما يلومنى عند ذلك وهى أن من شدة حرارة الشمس وطول السير يميناً وشمالا وعلمنا بإضلال الخبيرى عن الطريق المستقيم قد انتهيت زمازم العساكر المملوءة بالمياه لعلمهم بقرب النقطة الموجهة إليها قد أخذوا يعتزلون واحد بعد الآخر وعشرة أحدا بعشرة وما فوق ذلك حتى نشأ منها انكسار حذاء القلعة وصاروا يطوقون بأنفسهم غير متعقلين بما يلاقونه أدهى من ذلك لغاية ما صار اتساع القلعة والحملة من الجهات بمسافة ألفين متر تقريباً وخوفاً من أن يفوز بنا العدو لا سمح الله بحالتنا التى كانت القلعة قد اندهشت جميع الرويسا وتيقنوا ونحن جميعاً عدم الخلاص

من هذه الجهة ومن شدة ما حاق بالعساكر بالعطش الزائد ظانين جميعاً بأن هذه مقصده من الخبير فاندفع ملهوفاً لجهة العساكر سعادة الجنرال هكس باشا نادياً إليهم بالانتظام خشية من علاقات العدو فلا يسمع إليه قولا فنادى على الضباط راجياً منهم حصول الهمة فى عدم تبويظ القلعة وعدم خروج العساكر عن حد الطاعة إليهم فلا كانوا يمتثلوا وكان بهذه الصفة سعادة أفندى الحكمدار يجول بجواده يميناً وشمالا لجهات صفوف القلعة نادياً للضباط بحفظ نقطهم وللعساكر بالطاعة خوفاً من تمكن العدو بهم فلا يسمع إلا النداء بالعطش وقد ضاعت فى هذه الساعة عقولهم وصاروا كأنهم لم يذوقوا مياه عشرة أيام أو أكثر فوقع الرعب فى قلوب الرويسا فمنهم وهو سعادة هكس باشا باشا قال وهو فى شدة الغيظ كيف يكون الحال لو أتتنا فرقة من العربان لا تزيد عن المائة فى هذه الساعة فلا يكون إلا الغدر ببعضنا فوأسفاه من أن تكون عساكر منظمة كهذه لا تحفظ نفسها اثنى عشر ساعة من العطش ما دام قدر الله بها وأنى على يقين من أن ذلك لابد وإن يكون ناشئا عن عدم إطاعة أوامر ضباطهم فأخبرته بأن كثرة أكلهم فى الفول السودانى والبسلة وهى اللوبية والأذرة تسبب فيهم عطشهم حتى أوصلهم لهذه الحالة وكان أغلب العساكر الموجودين بالقلعة يقطعون القرب ويكسرون الصهاريج المياه ومن أجل شربة ماء [فانفقدون فإلى] القربة والصهريج وبالاختصار يا سعادة الجنرال أن هذه الحالة مخيفة جداً ونحمد الله تعالى ومن علامات النصر والنجاح قابلوا خور بطيخ بالطريق حيث كانوا يمتصونه لغاية الساعة ١٠ ونصف عربى نهاراً لم نزل سايرين على الفيض وكانت طلائع الشقى محمد أحمد يتبعون أثرنا من خلف القلعة وقدرهم تقريبى كما بلغنا من الكشافين الباشبوزق لا يزيدون عن الثمانين خيال وثلثماية بمسافة ربع ساعة وتارة نصف ساعة يحاولون طريق سيرنا طامعين فى أخذ ما نتركه خلفنا من ضعيف الجمال وغيره وما يسقط من الحملة والفتك بما يتأخر من عساكرنا وعلى الخصوص فى هذا اليوم المهول ونقول بدون إنكار أنه لحسن حظنا والسلامة لقوتنا وشفا ظمأ عساكرنا قد ساعدتنا المقادير الإلهية بوجود حضرة القبودان هلث أحد ضباط أركان حرب البروسيانى إذ أنه

لكونه من الصيادين العظام ففى أثناء سيره مع السوارى الموجودين برفقته إذ على بعد رأى ارتفاع مقدار من البط من وسط الحشائش فظن أن محل وجود هذا البط ولا بد وأن يكون بها مياه إذ البط لا يمكث إلا بمحلات المياه فقصده وكان حقيقى فوجد بركة كبيرة فأوقف هناك السوارى وعاد إلينا مع أربعة منهم وأخبرنا بوجود البركة المذكورة فحمدنا الله على ذلك وصاروا يطمنون العساكر بوجود المياه بمسافة تبعد عشرة دقائق ومع ذلك فلم نزل بغاية البهدلة العظمى وقد وصلنا الساعة ١١ تقريباً وأعطيت الأوامر بأعمال الزريبة اللازمة وهذه الجهة تسمى ولد رُخَيِّص وتوجهت بنفسى مع حضرة الكولونيل فركهار ريس أركان حرب لتحقيقها وكانت مسافتها تبعد عن العسكر بربع ساعة وعند وصولنا ووضع الخفر اللازم عليها ما نشعر إلا وحضرت جميع العساكر بعد بعضها تاركين عمل الزريبة لمن لا . . . . وحضر أيضاً سعادة الجنرال هكس باشا وبعدها بعشرة دقايق حضر سعادة حسين باشا مظهر وتزاحمت العساكر على البركة ولا كان أحداً يمكن منعهم وصارت أحوالهم فى حالة التبويظ زيادة عن الأول إذ تركوا الحملة بدون أن يحرسها أحد على بعد مسافة ربع ساعة فحصل لسعادة الجنرال هكس باشا مزيد الزعل إذ أن هذه ليست عساكر كونهم فاقدين معلوميتهم بقوانين العسكرية وعلى الخصوص ضباطهم فأتانى سعادة هكس باشا وأخبرنى بأن أخبر سعادة حسين باشا مظهر برجوعه حالا للمعسكر وإيجاد العساكر فى محلاتها فأخبرته فأجابنى بحماقه ها هو القومندان نفسه هيا إذا أمكنه حفظهم فى هذه الحالة إذ أنى غير قادر على على ذلك فأخبرت هكس باشا بذلك فقال متعجباً أن يريد منك الاستهزاء بى وأنه كل هذا التبويظ ما هو إلا من سوء إدارة حسين باشا مظهر وبهذه الحالة فلا يجوز إجعاله وكيلا له على الفرقة إذ ليس لى منه سوى التعند وتوقيف أوامرى ظاناً بذلك أنه أعلى درجة منى ولوقته ركب جواده بنفسه وعاد لمعسكرنا تاركاً حسين باشا مظهر بالبركة وقد أجرى ما فى إمكانه فى توضيب العساكر وأمر بعضهم بأخذ جمال المياه والقرب ويتوجهوا لملىء قربهم ويعودوا مع باقى العساكر فحصل منهم مزيد التشكك فى أعمال الزريبة وفى الساعة ١١ و٢٥دقيقة

عدنا للمعسكر وبالاستفهام عما تركناه خلفنا من العساكر والحيوانات فوجدوا واحد وعشرون عسكرى منهم خمسة جهادية وتسعة عشرة باشبوزق وأربعة خيول من بطاريات الكروب وهذا من شدة العطش وكثيراً من الجمال تقريباً من أربعين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولا يخفى أن بعد هذا جميعه لم نصل للعقيلة والله يعلم أين موقعها .

فى يوم الخميس المبارك ١١ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ ونصف عربى نهاراً قمنا من أم رخيص قاصدين العقيلة وقبل قيامنا من النقطة المذكورة قام حضرة القبودان هلث ومعه السوارى للاستكشاف كالعادة وبعد مسيرنا بساعتين رأينا حضرة القبودان المومأ إليه عائدا إلينا مع أربعة من السوارى وأخبر بوصوله للخور المنتظر الوصول إليه وأنه وجد مياه بكثرة تكفى خمسة أشهر وزيادة فعندها حصل للجميع غاية الاطمئنان من ذلك وكان مسير القلعة على غاية من الضبط ووصلنا الساعة ٣ ونصف عربى وعلى بعد مسافة نصف ساعة من الخور صار تعسكر الجيش عملت الزريبة اللازمة كالعادة وتوجهت العساكر لجلب مياههم منه ومن الساعة نصف ليلا قد ابتدأت الأمطار لغاية الساعة ٣ ونصف عربى ليلا وبينما كنا [مترغبين إليها] الأمطار خوفاً على البقسماط من البلولة إذ استشعرنا الورديات بحضور طليعة من العربان بقرب الزريبة فبوقته حصل الندا من العساكر على بعضها واستعدت القلعة لضرب النار وبالنسبة لظهور الطليعة المذكورة من الضلع الأيمن قد أطلقت عليهم النيران والمدافع الكروب والسا روخ مسافة سبعة دقائق تقريباً وبعدها ضربت نوبة وقف ضرب النار فهللوا جميع العساكر بالنصر وكما أوضحنا فإن هذه الليلة مظلمة بالسحاب جـداً شديدة الأمطار وفى الإثنى[١] قام سعادة أفندى الحكمدار على قدميه ومن معه لافتقاد[٢] هذه الحركة فشكر للعساكر والضباط على ما ظهر منهم من الهمة والنشاط والشجاعة وبهذه الحالة صرنا لا نخشى بأس من يقابلنا من الأعداء مهما كان يصل إليه عدده ثم عندما اشتغل ضرب

---

(١) فى الاثناء

(٢) تفقد .

النار بحالة السرعة كما ذكر قمت من خيمتى عازماً على الخروج منها فما أشعر إلا وضرب عيار نار بعيداً عن خيمتى بعشرة أمتار فسقطت الرصاصة قريبة منى بمسافة ثلاثة أرباع المتر وتحقق لى أن إطلاق هذا العيار هو على غير قصد إذ أن الضارب لهذا العيار لا يخلو من كونه قام ملهوفاً من نومه فأعلم بوجود العدو خارج الزريبة فأخذ يعمر سلاحه بسرعة فأخطأ الحرز منه بغتة ولله الحمد لم يصيبنى بشىء وإنما لم يضايقنى سوى دخان البارود حال ضربها ولقد عزمت على تعريف سعادة أفندى الحكمدار وسعادة هكس باشا ليكون سعادتهما على علم بذلك لتصدر الأوامر بعدم إطلاق نيران من وسط القلعة لئلا يحصل من ذلك إيهام داخل القلعة ويترتب عليه ما لم ينبغى ذكره وحيث أن خيمة سعادة أفندى الحكمدار مجاورة لخيمتى بمسافة عشرة أمتار وكذا خيمة سعادة هكس باشا أيضاً بثلاثة عشر متر فلا ينبغى فى أى حال من الأحوال إطلاق النيران قريباً من هذين الرئيسين الذى عليهما مدار وثبات هذه الحركة وقد علم يقيناً أن الضارب لها هو أحد عبيد حضرة قناوى بك أو حضرة عبد الرحمن بك بأن انتعسا ولأجل أن لا ننسى من الواجب علينا إفصاحه فى أثناء السفرية المهمة فأقول إن هذه الليلة المباركة هى ليلة عيد الأضحية المباركة ولقد دعى سعادة أفندى الحكمدار الموسيقية للترنم تفريحاً لجيشنا هذا العظيم وكونها ليلة مباركة فبعد أن ترنمت من الفرح الأول قد استشعرنا بضرب عيارين نار حيث كانت الساعة ٢ ونصف عربى فبوقته قد نبه سعادته بأن لا لزوم لضرب الموسيقية فى هذه الليلة كونها شديدة المطر ولربما يصغى إليها العساكر بدون التفات لحفرهم داخل الزريبة ويأتينا العدو على حين غفلة لأن من عوايد العربان انتهاز الفرص فى أوقات كهذه وقد كان وتوجهت الموسيقية لمحلها ومن التصادف العجيب أنه لم يمض مسافة ساعة واحدة إلا وقد حضرت طليعة العدو واستشعرت العساكر إليها من حسن التفاتهم وأطلقت عليهم نيران جهنم كما ذكر قبلا — نحن لايلزمنا أن ننسى فضل سعادة أفندى الحكمدار فى كونه نبّه على حضرة عباس بك وهى حكمدار الطوبجية بضرب واحد وعشرون مدفع باكر تاريخه صباحاً الذى هو يوم العيد المبارك إحياء لهذا اليوم العظيم .

قبل الظفر بالشقى محمد أحمد . . . . . ستكون مبشرة بالنصر وذلك كان فى الساعة ٢ عربى من هذه الليلة ولو أنه لم ضربت المدافع فى وقت العصر الذى هو يوم الوقفة إعلاناً بالعيد المبارك باكر [لاقد أن لنا الطبيعة] باستشعارنا بالعدو فى الساعة ٣,٢٠ وإطلاق الرامنجتون والكروب والسواريخ عليهم فلله الحمد قد اكتفى الحال بذلك ولا بد من بلوغ هذا الخبر باكراً وبعد باكر للشقى محمد أحمد وبذلك يقع الرعب فى قلوبهم ولا يخفى ما لضجة مدافع الكروب ونويت أتمشى فى أثناء الليل ولقد تصورنا أن لا بد وأن يسمع صيحات المدافع بجبل كون الذى يبعد عن هنا بمسافة أربعة ساعات تقريباً إذ كما بلغنا أن هناك تجمع الأشقياء تحت قومندانية نجل الياس باشا العاصى بكردفان ربما ضد الشقى محمد أحمد (سنقيم هنا يومين الجمعة والسبت) .

قد افتتح هذا اليوم المبارك وهو عيدنا الأكبر فى يوم الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى نهنىء بعضنا بعضاً بحلول هذا اليوم العظيم متعشمين نجاحنا بهذه المأمورية والعودة لأوطاننا سالمين مظفرين ونكون قد أرحنا العباد من شقاوة هذا الضال محمد أحمد وقد استعد سعادة أفندى الحكمدار بمقابلة الخيمة وأول من زاره صباحاً سعادة هكس باشا وحضرة الكولونيل فركهار وضباط أركان حرب الإنكليز يهنئون سعادته بهذا اليوم المبارك وبعد المؤانسة قاموا عائدين لمحلاتهم وبعدها سعادة اللواء حسين باشا مظهر وحضرات جميع ضابطان الفرقة تهنئة واحدة بالملابس اليومية مارين أمام سعادته واحداً بعد الآخر على ما جرت به العادة وعندها أطلقت المدافع إعلاناً لهذا اليوم العظيم . وجميعهم داعين لولى نعمتنا بدوام العز والبقاء ونجاح هذه الحركة المهمة والعودة سالمين وبعدها حضرات الذوات المحضرين بمعية سعادته من بندر الخرطوم وغيرهم من المستخدمين بالجيش المنصور وعلى هذا المنوال فبعد خروجهم من عند سعادته طائفة بعد الأخرى توجهوا قاصدين خيمة سعادة الجنرال هكس باشا للمعايدة على الهيئة المذكورة ، وفى الساعة ٢ ونصف عربى توجهت من خيمة سعادة الحكمدار لخيمة الجنرال المشار إليه للمعايدة أيضاً ومكثت بطرف سعادته مسافة ساعة واحدة وبعد التهنئة افتتحت بينى

وبين سعادته المحاورة عن حالة السودان الراهنة وما سبب إيصال هذه الفتنة لهذا الحد وكيف كانت أسبابها وما هى أفكارك من جهة كردفان ودارفور فأجبته بأن حالة السودان الراهنة هى كما ترى سعادتكم ، وأما السبب الذى أوصل هذه الفتنة وقوى محمد أحمد لهذا الحد هو أن كما علمت من الآخرين أن الشقى محمد أحمد كان بجزيرة أبا الواقعة على البحر[١] الأبيض قد أهمل فى قبضته ومنعه من التعدية لجهة الغرب سعادة رؤوف باشا الحكمدار السابق ومع ذلك فلكونه تقوى بالجهة القريبة للبحر الأبيض وتعضده بعض من قبائل العربان اعتقاداً بأن هو المهدى المنتظر كما أغراهم بذلك [فقد . . . له] فرقة بعد الأخرى غير كافية اشتهر أن يكون لم يكن شيئاً مذكوراً وتمكنت العربان بالفتك بهم بجبل قدير .

قد طلب سعادته إرسال قوة عسكرية من مصر لعلمه أن لا خلاص للحكومة منه إلا بإعدامه أو إعدام معاضديه وقد كان وأوعدت الحكومة بإرسال ما يلائم من العسكر ومن سوء الحظ قد صادف سعادته الرفت من حكمدارية عموم السودان بناء على أمر عال وتعين بدل سعادته عبد القادر باشا وذلك كان فى شدة [استقوى] الحوادث الأخيرة بمصر[٢] فارتكنت العربان على على قيام الشقى محمد أحمد بالسودان وقيام عرابى بثورته المهولة فى مصر عالمين بأن هذا لا يمكن إمداد السودان بعساكر لارتباك مصر فى استعداداتها اللازمة لمقاومة الإنجليز ضد مساعدتهم للحضرة الخديوية ولا يخفى على سعادتكم ما كان فى ذاك الوقت واستقوى الشقى أيضاً بالسودان وصارت العربان معاضدين له والأغلبية منهم خائفين منه لئلا يرسل قوة منهم عليهم قد يفتك بجميع عربان كردفان ولما أن قام سعادة رؤوف باشا من الخرطوم لمصر حسب الأمر وكان سعادة عبد القادر باشا لوقتها لم يقم من مصر قد كان ججلر[٣] باشا وكيلا للحكمدارية فاستفهمت الحكومة المصرية منه عما إذا كان لا زال ضرورى

---

(١) النيل الأبيض .

(٢) الثورة العرابية

(٣) ججلر باشا وكيل حكمدارية السودان .

فى إرسال القوة العسكرية للسودان فجاوب بأنه لا ينبغى إرسال قوة عسكرية من مصر لأن الحالة فى تحسن عن الأول (مع كونه زاد عن الأول) وأنه بالعساكر الموجودة بالسودان يمكن إطفاء هذه الحركة ولا لزوم لتكليف مصر بمصاريف باهظة فاعتمدت الحكومة على هذا الخاين مع علمه الحقيقى بتجمع وعصاوة العربان بكامل وأكنان السودان وفى الحين وصلت الفتنة بالجزيرة وهى إقليم سنار والخرطوم فصبر حتى أن صارت الفتنة فى غاية التحكم وعين أورطة بعد أخرى من عساكر الباشبوزق والشايقية فلم يرجع منهم نفر وقتلوا عن آخرهم ولما رأت العربان هذه الحالة طمعوا زيادة وقام كل شيخ قبيلة مدعياً لنفسه أن هو وزير المهدى وعلت الفتنة فى جميع الجهات الذين كانوا طالعين واتسع الخرق حتى كما لا يخفاكم أن وصل لجهة سواكن بشرق السودان الذين قام بها سعادة الحكمدار علاء الدين باشا ما ينوف عن الاثنى عشر سنة تقريباً ولم كان يسمع شيء مطلقاً بظهور أي فتنة أو حركة بجهة شرقى السودان وعلى الخصوص فى وقت ثورة مصر بعرابى وغربى السودان بالشقى محمد أحمد فلم يحصل أدنى خلل بجهات شرقى السودان بل حفظها سعادته بالسياسة مرة وبالتخويف مرة أخرى حتى أن قدر وانتهت حركة مصر بتأييد الخديوى ولو أن الأغلب منهم كان ينتظر النهاية ولم يمكن إظهار نفسه. فى الوقت ذاته وإنى يا سعادة الجنرال أقول أن ججلر باشا قال كلمة حكيمة ولربما بلغت سعادتكم وهى لما سئل كيف تقول إن الحال تحسّن وتمنع حضور القوة من مصر فقال بأن لا حق علىّ فى ذلك والحق هو الحكومة نفسها كونها سمعت قولى لأنى ليس كنت جهادى حتى أعطى قول حقيقى وإنما الحكومة نفسها محقوقة فى سماع قولى وكان يلزمها النظر فيه فيظهر من ذلك أنها مقصده منه يزيد ارتباك حكومة السودان أو يكون أحداً أفهمه ذلك فأجابنى سعادته قائلا بأنه هذا هو كما بلغنى وإنما الحق الأكبر هو على الخاين ججلر باشا وإنى لا أريد أن يسمح لى الدهر بمقابلته فأخبره بأنى سمعت أن له أمل فى الرجوع للسودان فأجابنى بأنه لا يمكن ذلك مطلقاً وإذا سئلت فأكون أول معارض لذلك لأنى لو علمت هذا قبل قيامه من هنا لكنت أوقفته وجعلته

عبرة بين الأوربيين . هذه عن الخيانة وكما أن الحكومة كانت تثق به ورقّته لهذه الدرجة التى لم يراها أحد ما من قبله فكان من الذمة عليه أن يحيطها علما بحقيقة الحال ولها بعد ذلك التصرف وليس يعترف بحسن الحال عن الأول ويلزمها بالاتكال عليه ولكن مضى والسلام وأما كون (أفهمه) أحد فلا تتصور ذلك لأن بروسية لم يكن لها من المنافع مثقال ذرة وأن هذا لا يقال إنه سياسى وإنما رجل دنىء جاهل وإنما انظر يا عباس بلك ما قاله اللورد دوفرين بخصوص ترك كردفان ودارفور ما كونه إلا عالماً بها وبطريقها وإنى كنت أنا [الغير قابل دائما] لهذه المشتقات وعدم وجود المياه وعدم وجود وسايط لأجل كل هذا فيما لا ينتج منه سوى كثرة المصاريف وتحمل الحكومة بدلات قيادة مع كون حكومة مصر لا قدرة لها على ذلك فقلت له إن كردفان هو السودان نفسه وليس الخرطوم هو السودان إذ الخرطوم وخلافها لا يكن شيء بالنسبة لكردفان حيث أغلب التجار والتجارة هى بكردفان بالنسبة لمحصولات الصمغ لأنى قد كنت أمين جمرك سواكن فى سنة ٨٢ كانت واردات الصمغ الكردفانى هى عبارة عن مائة وأربعون ألف قنطار هذا بخلاف المعتاد مروره من طريق عتمور كروسكو بهذا القدر وجميعه بخلاف باقى أصناف مثل سمسم والريش النعام وغيره والواردات من أوربا وما يلزم السودان وهى غرب السودان شيء لا يحصى من كامل الأصناف وبهذه الواسطة لا يصح تركها مطلقاً حفظاً على عربان الشرق منها وإنما أوافق ومن الضرورى أن يصير ترك دارفور التى لا منفعة لها مطلقاً وعلى الدولة مصاريفها وحكومة السودان أن يرد منها شيء وعوض الله الحكومة الخديوية خير فيما صرفته عليها من عهد افتتاحها لحد الآن ومصاريف حربها التى كان سبباً فيه سعادة إسماعيل باشا إذ أنه صعب الوصول إليها جداً لا أقله عشرون يوم بدون مياه ولكون من هذه المسألة وهى مسألة دارفور خاصة لوحدها فلا لزوم للدخول فى معرضها فقال عظيم جداً وهل ستعرضون التقرير اللازم على الحضرة الخديوية لتعلم حقيقة هذه الجهات أدله من تكليفها بما لا طاقة لها بها كما أنى سأعرفه فى تقارير عن ذلك جميعه للحكومة الخديوية لترى صالحها معه لأن الحكومة الخديوية لا علم لها بحقيقة

هذه الجهات وأنها مرتكنة فقط على تعريف الحكمدار قوته الخارجة عن حد الصواب فأجبته بأن سعادة الحكمدار لا بد بأن يكون مستعد لذلك أيضاً إذ لم يكن عليه منها ضرر وكل إنسان يهمه وطنه الحقيقي فلا عليه سوى عرض أفكاره وعلى الحكومة قبولها من عدمه فقلت لسعادته أيضاً ان حالتنا المهمة الراهنة هي نهو هذه الحركة والتمكن من الشقي محمد أحمد ورجوع العربان لحالتها السابقة فقال إن هذا ضروري وإني مؤمل الفتك به إذا لم يهرب لجهة أخرى فأجبته بأني أظن أن قتله هو مهم جداً فقال هذا أول واجب عليّ فأجبته بأني سبق كنت استفهمت من سعادة الحكمدار هل يجوز لي قتله إذا نظرته قريب منا ولا يكون ضبطه أسير وإذا قتلته فما هو القانون الذي أعامل به فقال لي سعادته بأنه ما دام ضبطه أسير فلا يجوز قتله إذ القانون لا يساعد على ذلك فأجابني بأنه ولو فرض وقتلته وكان بين يدي بدون أن يصيبني ضرر منك فلا يكون لك سوى المكافأة ومع ذلك فإني لا أمكنه من الوصول إليّ بحالة أسير وإني سأقتله حالا وإن مأموريتي هي خاصة بذلك فقط فإذا كان سعادة الحكمدار عنده أمر من الحكومة الخديوية بعدم قتله وحضوره أسير لمصر فهذا لا يدخل لي فيه ومع ذلك فسأصرف غاية جهودي في قتله لأنه لا يخفى عليكم أن إذا اعتد هذا الرجل فتلفه عايد على عموم أوروبا فأجبته بأني ممنون من ذلك وغايتنا الوحيدة هي هكذا وإني يا سعادة الجنرال أقول أن مسألة محمد أحمد هي مسألة دينية وإذا امتدت فلا يكون منها سوى حصول زيادة الارتباك ، وأما كونه موجود أوامر من الحكومة للحكمدار تقضي بضبطه وعدم قتله فهذا لا يكن مطلقاً لأني أعلم بذلك إذ الحكومة التي (حاربت) هذا الشقي لا تقصد سوى إعدامه وإعدام أعوانه عند التمكن منه وإنها لا ترغب خراب بلادها وكفى ما حصل لحد الآن من جهتي مصر والسودان فأجابني بأنه ما دام الأمر كذلك يحصل المقصود ونعود جميعاً سالمين .

في يوم السبت المبارك ١٣ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٢ ليلا قد أخبرني سعادة الحكمدار بأن الحرمة التي ضبطناها يوم أمس تاريخه لكون أنها حرمة عجوزه يريد أن يعطيها إعلانات لتوزيعهم على المشايخ بالحلالات لاطمئنانهم

لربما يحصل تمرد وأن حرر الإعلانات بأسماء بعض المشايخ وأنه يرغب أن أتوجه لسعادة الجنرال هكس باشا لاستخراج رأيه فى ذلك وإذا أراد أن يضع إمضاءه أيضاً فلا مانع فأخذت حسب الأمر الإعلانات وتوجهت لسعادته وبعد تفهمه مضمونهم قد استحسن هذا الرأى وأن يرغب أن يضع إمضاءه أيضاً بمعنى (أنا الإنكليزى قومندان ورئيس الجيش المصرى) فناولته الإعلانات ووضع ختمه عليهم . . . المذكورة وفى أثناء مكوثى حصلت المذاكرة من سعادته ومن حضرة الكولونيل فركهار وريس أركان حربه فى مسألة محمد أحمد فقال لى الأول بأنه فى غاية الأسف من عدم مقابلتنا بأى من العربان أو مشايخهم من عهد قيامنا من الدويم .... لحد هذه النقطة التى هى زيادة عن نصف الطريق ولم يكن يصادفنا أحد بل هم على ما قيل إن جماعة من العربان تحت قيادة عامر ابن الياس باشا متبعنا من خلف منتهزين الفرصة فى إعدام كل من يتأخر منا من العساكر وهذا عار علينا ومما يشوش أفكارنا بخصوص أحوال الأبيض فضلا عن عدم [. . .] صلتنا مع أهالى الأبيض لمعلومية حالهم وأحوالهم وما هى مقاصدهم ليس خائفين منهم فقط للرسيان على أفكارهم لأننا صرنا بين جميع الأعداء ومن جميع جهاتنا وقال [الثانى] بأن ما دام معلوم لنا جميعاً هكذا فهل لم يمكن بواسطة سعادة الحكمدار أجراء طريقه للمراسلة مع الياس باشا بالأبيض والواسطة يكافأ بمقدار من النقود قدر عشرون أو ثلاثون ألف ريال لإعطاؤه الأمان وتوعده بتوظيفه بوظيفة عالية لعل وعسى أن يميل إلينا ويحافظ على عدم تمكن الشقى محمد أحمد من الهروب إذا كان له عزم على ذلك وإلا يضبطه ويسلمه لنا عند دخولنا ونكون حينذاك راسين عن أحواله هناك إذ كما هو منظور الآن بالنظر لسفرنا هذا صعوبة الحال لنا جداً للحصول عليه خوفاً من أنه يهرب ضاحكاً علينا ويزيد اعتقاد العربان فيه بأنه إن لم يكن هو المهدى الحقيقى لكان تمكن هذا الجيش العظيم منه الذى لم يسبق مروره بجهات هنا وأن هذه من إرادة الله له ويزيد بذلك حالا له ونكون قد وقعنا بين العربان جميعهم وقال سعادة الجنرال بأن ما هى الفائدة بدخولنا الأبيض إذا لم نتحصل عليه بنفسه لأنه لو كانت المسألة قاصرة على دخولنا الأبيض

فهذا فى أى دقيقة فى اليد وأن مقصودنا هو القبض عليه وقتله بوقته حتى بعد ذلك يؤمل انتظام كردفان زيادة عن الأول فأجبته بأن هذه أيضاً هى ملحوظات سعادة الحكمدار وأفكارنا عموماً وإنما ما هى الطريقة الموصلة للمخاطبة مع الياس باشا بالصفة التى ذكرتها سعادتكم طالما أننا لم نجد من يقابلنا مطلقاً وإنى أعرض لسعادتكم بأن النظر لكون سعادة الحكمدار أمضى عليه زيادة عن الثمانية أيام بدون إخطار المعية عنا لئلا كما تعلمون لا بد وأن يكونوا بلا محالة مشغولين البال ليلا ونهاراً من جهة الجيش وما معه وما تم عليه الحال صار فى غاية الكدر وأحس تاريخه ولحد الآن جارى البحث على أحداً من الأهالى الموجودين بالجيش مثل عبيد وخلافهم لتوصيل المعركة لجهة الدويم لإرساله لمصر كى يطمئن بذلك بال الحكومة وأوعد لمن يوصله بمقدار ماية وثمانين ريال بعد ومن هنا للدويم فلم أمكن الحصول على من يجازف بعمره . . . بهذه الحالة ما طريقة المراسلة مع الياس باشا العاصى حالة كونه موجوداً بمركز الفساد ومن المعاضدين للشقى وإنى أقول إنه مع مشغولية أفكارنا من أجل ذلك فلا عبرة فى تقدير أى مبلغ لمن يوصلنا إليه ووقتها نكون عالمين بحقيقة أفكاره بخصوصنا وامتدت المذاكرة بهذا الصدد مسافة ساعة وكسور وعند القيام أخبرنى بالمذاكرة مع سعادة الحكمدار بعد أن اتضح لى بأنه [بحق شرفه فمن يكن قائلا لجميع قائلين] وتكون واسطة فى ضبط الشقى محمد أحمد فإن يسامح فيما قوله هذا بالنظر لأهمية وجوده وخوفاً من امتداد سطوة هذا الشقى الملعون فاستأذنت منه وقمت ومعى الإعلانات بعد ختمهم وها هى صورة الإعلانات المذكورة .

« قد صار حضورنا ومعنا جيش عظيم من العساكر المنصورة لضرب الأشقياء ونحن الآن فى وسط بلادكم ولابد بلغكم ذلك وقبل الآن حررنا لمن يلزم من المشايخ بالنصيحة والأمان فإذا كنتم طايعين للحكومة وتريدون خلاص أنفسكم وأموالكم وعيالكم من التلف وعمارية أوطانكم فبادروا بالحضور لمقابلتنا أنتم ومن يتبعكم وعليكم أمان الله ورسوله ومن لم يحضر فيكون هو الجانى على نفسه ونكون بريئون من ذنبه يكون معلوم . » ١٣ الجمعة سنة ٣٠٠ .

إنه حكمدار عموم السودان . علاء الدين باشا . إمضاء أنا الإنكليزى قومندان ورئيس الجيش المصرى هكس باشا

ثم وعن حضورى بطرف سعادة أفندى الحكمدار بالإعلانات المذكورة قد أوضحت لسعادة هذه المحاورة وأوريته حقيقة مقصد الجنرال فقال لى مع علمه بذلك كله كيف يمكنك مع كونى فى غاية الحيرة فيما هو متظاهر لى ما دام لم يمكن الحصول على من يوصل تلغراف للحكومة بأى مبلغ كان كيف يمكننا الحصول على مراسلة الياس باشا ، وأما بخصوص الشقى محمد أحمد فأخبره بأننا قبل قيامنا من الخرطوم دفعنا عشرة آلاف ريال لشخص مؤتمن من الخزينة بقصد إعطائهم مكافأة لمن يمكنه قتله فاشترى بعض أصناف بضائع وقام من الخرطوم لكردفان بصفة تاجر ووصل لنا منه خطاب يورى فيه أنه منتظر الفرصة لقتله من وقتها للآن لم يرد لنا خلافه فمن أين نجد ولو بمائة ألف ريال لأننا محققين أن هذا الملعون يتسبب منه خراب كبير ومع ذلك فما دام حضرنا بهذه القوة وتواجدنا الآن فى وسط بلادهم ولم أحد يقابلنا ولا بد وأن يكون ذلك أما من قبيل الخوف لنا أو رغبتهم فى التجمع عليه فنحن لا نسأل الاحسن العاقبة إن شاء الله وأظهر مزيد الأسف بالنظر لحالتنا الراهنة حيث انقطعت مواصلتنا مع مركزنا وهو الخرطوم وعدم وجود وسايط لإحاطة علم الحكومة بأحوالنا وهو الأمر المهم وخياب أملنا فى عشمنا قبل قيامنا بمقابلة مشايخ العربان ظانين بأن حال ما تبلغهم قوتنا فضرورة يحضروا لمقابلتنا بالطريق ووقع الأمر لدينا بخلافه فعدت وأخبرت سعادته بذلك وأظهر مزيد الأسف — سهى علينا أن نتذاكر حادثة وهو أن فى الساعة ٦ ونصف عربى نهاراً قد حضرت العساكر من جهات خارج الزريبة المانوطين برعية الجمال وما نشعر إلا وتفرقعت جلة مدفع فى الضلع الأيمن وتسبب منها إصابة خمسة عساكر منهم اثنين جروح خطيرة والثلاثة جروح خفيفة نوعا وبالاستعلام عن كيفية هذه الجلة علم أن عندما كانت العساكر ترعى الجمال بعيداً عن الزريبة مسافة ألف أو ألفين متر إذ أحدهم وجد جلة مدفع ساروخ بدون فرقعة فحملها وعاد مع رفقائه إلى المعسكر ودخل خيمته فأخذ يحركها ويدق عليها وإذا هى على حين

غفلة فرقعت وتسبب عنها ما ذكر وهذه جلة من ضمن الخلل التى صار ضربها ليلة أمس تاريخه حال الاستشعار بوجود العربان خارج الزريبة ولم يفتح مسمار طبتها سهو بسبب مداهمة العدو مع كثرة نزول الأمطار وما هذا إلا . . . ما قدر الله به على . . . لخمسة عساكر المحكى عنهم وبوقته دعى حضرة حكيمباشى الجيش لمعالجتهم وفى اليوم نفسه الساعة نفسها عندما كانت العساكر ترعى الجمال إذ توجهت أربعة من العساكر لاقتلاع البطيخ وكانوا بعيدين عن بعضهم بلا أقله عشرين متر ومن سوء الحظ قد أتتهم العربان مختفين فى مزارع الأذرة وهم من أصحاب هذه الأراضى فطعنوهم بالحراب وذبحوا اثنين منهم فى مقاتة البطيخ والاثنين الآخرين أكثروهم بالطعن حتى قتلوا وفروا هاربين وعلى ما قيل يبلغ عددهم من المائتين وكسور والأدهى من ذلك أن العساكر نفسهم الأربعة كانوا خارج الزريبة بمسافة ألفين متر بدون سلاح فلم يكن معهم سلاح لكانوا أقله أعلنوا الجيش ليلحقهم ببعض عساكر ومع ذلك صار من الضرورى صدور التنبيهات بعدم التصريح لخروج أى عسكرى خارج الزريبة بدون أن يكون حاملا سلاحه كى لا يتمكنوا هؤلاء الأشقياء من قتل واحد بعد الأمر من عساكرنا ونطمعهم فينا ثم . . . . على البوصلة الإنكليزى الواردة لنا من سعادة هكس باشا من يوم . . . وهو يوم الخميس من أن سيصير إقامة الجيش هنا يومى الجمعة والسبت لراحة العساكر والجمال وتنظيف أسلحة العساكر وهدومهم أيضاً نظراً لكثرة وجود المياه بهذه الجهة سيكون القيام باكر تاريخه لجهة صوعمان مسافة يومين حسب تعريف الخبراء وحسب .

فى يوم الأحد المبارك ١٤ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى قمنا من العقيلة قاصدين صوعمان والعزم على المبيت بمنتصف الطريق وقبل قيامنا علم أن وجد على حرف الخور محل أخذ المياه وحضر عسكرى مذبوح ومشقوق بطنه وتحقق أنه أحد عسكر ضباط أركان حرب وكان جارى البحث عنه كونه أخذ جمل المياه والقرب يقصد ملوهم من عصر الساعة ١١ عربى نهاراً حتى تاريخه ولم

(١) المتوطين .

يعد بالجمل لحد الصباح ويكون غير ممكن الخروج من الزريبة بعد أوان الضرب فبقت المسألة فى حيز التصور لحد الصبح وعندما توجهت العساكر صباحاً لملو زمازمهم وجدوه قتيل بالصفة المذكورة وأما الجمل فلم يجدوه وما هذا إلا من الطليعة الكامنة خلفنا التى هى تحت قيادة الشقى ابن الياس باشا وكان لما تحقق أمس تاريخه أنهم مقتفين أثرنا خلف الحملة وأنهم كامنين قرب الخور بمسافة تبعد عنا ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف متر ونظروهم أغلب عساكرنا وقيل إن عددهم يبلغ الثلثمائة بيادة ومائة خيالة قد أمر سعادة هكس باشا بناء على اتفاق مع سعادة الحكمدار بقيام برنجى آلاى ومدفعين جبلى تحت قيادة سعادة حسين باشا مظهر ليطوفوا بعيداً عن الزريبة لغاية خمسة آلاف متر لقتل الأشقياء المحكى عنهم فقام وعاد بدون حصول شىء فقط ضرب مدفعين تخويفاً لهم كونهم فروا هاربين من مكانهم وكنا نراهم على بعد كامنين فوق أعالى الأشجار ليتفقدوا حالنا وفى أثناء سيرنا إذ على بعد استشعرنا بضرب نار من عساكر الاستكشاف الباشبوزق حيث كانت الساعة ٦ عربى وبعد برهة حضر رسول من طرفهم ومعه رجل مصاب بعيار نار فى ذقنه وجارية وأوضحوا أن لما قابلوهم هؤلاء الأشقياء كانوا عازمين على ضربهم بالحرب وبوقته بالرصاص وكان عددهم خمسة فمات منهم ثلاثة وحضروا بالاثنين الباقيين ورفقاً لحال هذا الرجل بما أنه طاعن فى السن قد دعى حضرة الحكيمباشى وأخذ يعالجه وبالاستفهام من الرجل عن مكان عربان هذه الجهات ولماذا تركوا مزروعاتهم وأوطانهم فقال بأن العربان خائفين فقط من الترك والسبب فى ترك مزروعاتهم وأوطانهم هو أن قد وردت جوابات من محمد أحمد للعربان يعلمهم بأن الترك قامت من الخرطوم قاصدين الأبيض إلينا وأن من أجل أن لا يأذوكم بالطريق كونكم قليلين فيلزمكم القيام من حلالاتكم وأنكم ليس مصرحين منا بمقاومتهم وأنهم ليس قاصدينكم بل قاصدين [نفسنا عليكم] سوى أخلى طريقهم بدون تعرض منكم ومن يكن خائف منكم على نفسه فليحضر لطرفى لمحاماته إذ أنى غير مبال مهما كان عددهم وستنظروا قوتى ونبوتى فيهم وبناء على ذلك [تفضلهم] نوجه إليه وهم الآن متجمعين بالأبيض وأما مواشيهم

أرسلوهم جهات جبل كون والرهد الكبير وإنى أرجوكم أن تقتلونى خير لكم حيث أن الذى قتلوها الترك معى هى زوجتى والرجل أخويا شقيقى والمرأة امرأته والزرع تعلقى تلفتوه بمرور هذا الجيش منه وحلتى أى بلدى هذه حرقتموها ها هى على يمينكم تسمى حلة الشيخ منصور ولهذه الحالة فلا لزوم لعيشتى وهذه الجارية هى خادم أخى – فأخبره سعادة الحكمدار بأن ما سبب هذا التعصب كله وخراب أوطانكم وقتل أرواحكم لماذا عصيتم الحكومة واتبعتم هذا الفاسد فقال إن هذه إرادة من ربى وهذه مصيبة محمد أحمد فى هذه السنين الأخيرة المدعين به العربان الآن أنه إلههم فقال له سعادة الحكمدار وأنت الآخر تدعى أنه إله فقال حاشى فقط ومع الخوف منه فى قلوب العربان وادعى لهم أن الإمام المنتظر والآن يسمونه الإله ويحلفون به فقط أنا بقيت فى محلى هذا طامعاً فى مقابلة الحكومة وقد حل بى . . . . وفى الساعة ٨ ونصف عربى نهاراً وصلنا قرب حلة الفكى محمد تربيه وهناك تعسكرنا وقد عملت الزريبة حسب المعتاد وباكر نقوم لصوعان .

فى يوم الإثنين المبارك ١٥ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ عربى صباحاً قمنا من حلة الفكى محمد تربية قاصدين صوعان ووصلنا ها فى الساعة ٩ عربى نهاراً وتعسكرنا على شاطىء الخور نفسه ومياهه بغاية النظافة وفقط لم تنتهى أعمال الزريبة ولا توضيب المعسكر لغاية الساعة ١١ عربى وقد حصل للعساكر مرتين العطش ونفق من الجمال بالموتماية وواحدة من البغال أحد عشر وحصان واحد وأربعة عساكر توفوا بالطريق والجميع من العطش لأننا فى غاية الاستغراب من أنه عند قيامنا من العقيلة فعلى حسب الكشوفات الواردة من حضرات الميرالايات اتضح وجود خمسة آلاف وكسور مليانين مياه ولما وصلنا لحلة الفكى محمد تربية التى كنا بها أمس علم أن الباقى من المياه فقط ألف ومائتين قربة فوقع فى قلبنا عموماً وعلى الخصوص فهذا الأمر وهو أمر حياة يهم سعادة الحكمدار وسعادة الجنرال هكس باشا الرعب من أن ما دام باقى ألف قربة من الخمسة آلاف الأصلية وصرف منها أربعة آلاف وكسور ماذا يكون باكر بالألف قربة فحصلت المذاكرة صباحاً بين سعادة هكس باشا وسعادة الحكمدار

بخصوص المياه وما هو العمل فأجاب سعادة الحكمدار بأن هذا ناشيء من عدم التفات الظابطان . . . . وأنه يرجو سعادته ما دام أن القومندان ولا يصح لى التداخل فى أشغاله مخابرة حسين باشا مظهر بتشديد وتنفيذ تنبيهاته وطلب الستر من الله فى هذا اليوم والحمد لله وصلنا بعد ما فقدمنا ما أوضحناه بخلاف أول أمس فإن فقد أربعة وتسعون جمل وأربعة بغال فقط ولقد وردت لى أخبارية من سعادة الحكمدار أن الجيش سيقيم هنا باكر راحة .

فى يوم الثلاث المبارك ١٦ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٣ عربى حضر سعادة الجنرال هكس باشا لخيمة سعادة الحكمدار وحصلت المذاكرة فيهم فيما هو لازم فقال سعاد الحكمدار وهو بغاية الأسف أن من كثر الحاحى على سعادتكم بخصوص الجمال خاشى أن يعتريكم نوع زعل منا وأيضاً لو تنبهت عند ذلك حضرات الضابطان فلربما تفتكروا أن هذا تدخل فى أشغالكم مع أنى لا أرغب التداخل مطلقاً فقط كونى أعلم أن أرواحنا فى حياة الجمال الواجب علينا راحتهم فى المرعى والتفات العساكر بدون قساوة إليهم منا يوجبنى زيادة تكرار التكلم فى هذا الموضوع فأرجو أن توكدوا عليهم بالالتفات للجمال حيث لا يخفى سعادتكم أول أمس ٩٤ وأمس ١٠١ من الجمال بخلاف البغال الذى هى منفعتها أريد نظر الضرورة احتياجنا فأجابه سعادة الحكمدار بأنه ما دام سعادتكم أخبرتم حسين باشا مظهر فلا مانع من التنبيه هذه المرة بمعرفتكم ذاتا إلى الميرالايات ولعل وعسى أن يحصل المقصود فأجاب سعادته حاضر ومن المذاكرة قام وبوقته دعا عزة الأميرالايات وحضروا بطرف سعادته وأكد عليهم متعشمين حصول المقصود وفى الساعة ٤ ونصف عرنى حضر لخيمتى حضرة الكولونيل فركهارس فى أثناء المذاكرة أخبرنى بأن القبودان هلت توجه يوم تاريخه مع فرقة من السوارى لاستكشاف محل بجهة أم رعاية قيل عن وجود مياه بها فأخبرته بأن الجمال والبغال تعبانين فأجبته بأننا محتاجين للبغال قبل كل شيء « أنظر للمدافع الكروب ثم الجمال لمشالنا فقال فى الواقع إذ لا يمكننا ترك الكروب بالطريق إذا لم تجد وسايط لشحنهم وفى أثناء المذاكرة أورى بأن الضباط غير مطيعين للأوامر وهو الأمر المهم فأجبته بأنه بالنظر للحالة الراهنة

ولأننا محضرين للمحاربة فمن لم يطيع الأوامر من الضباط يجازى حتى يعتبروا الغير فقال إن عرف سعادة الجنرال الذى هو متكدر منهم وزيادة وعزم على عزل بعض منهم لربما يعتبر غيرهم وقد أخبر سعادة الحكمدار هكس باشا بذلك أيضاً وإنى فى غاية الأسف كونى أرى ضباطنا العسكرية الذين عليهم مدار هذه الحركة مهملين جداً فى ضبط عساكرهم حتى أوجبوا سعادة الجنرال هكس باشا وغيره من إسقاطهم من نظره بعد أن كان ملتفت إليهم وفى الساعة ٥ عربى علمت من سعادة الحكمدار عدم إخراج الرجل الذى صار ضبطه أول أمس بعد أن كان العزم على إطلاق سبيله نظراً لما أصابه ولأن يكون حاملا بعض إعلانات من سعادته لعموم المشايخ لدخولهم فى طاعة الحكومة هذا بالنسبة لما تراءى لسعادته من أن هذا الرجل ما دام فقدت جميع عائلته فلربما لو أخرجناه وطلقنا سبيله يخبر العربان عن حالنا وكيفية العطش الذى لحقنا أمس تاريخه وتبويظ القلعة عند وصولنا للخور ولقد تراءى لسعادته إبقاءه بالجيش ولا لزوم لهذه الإعلانات السابق إعطاها للحرمة عند قيامنا من العقيلة وقد وقع هذا لدى سعادة هكس باشا توقع الاستحسان وما ذلك ببعيد ما دام هذا الرجل فقد حرمه وأهله ومزروعاته . وفى الساعة ٩ عربى لما [. . .] لسعادة الحكمدار وجود بعض الجمال بالمرعى مربوطين فى الأشجار والخفر نايمين تحت الشجر غير مبالين ما ينتج من الضرر لوعد منا هم مدعين سراً حضرة إسماعيل بك القائمقام بالخروج بره وملاحظة هذا الأمر المهم وقد كان وخرج وعاد بكشف واضح أسماء الخفراء وعدد الجمال وتبعية كل بلوك وأورطة وآلاى وبوقته أمرنى سعادة الحكمدار بأن أوصل هذه الورقة لسعادة هكس باشا وتفهيمه ما بها واترجا سعادته فى عدم المؤاخذة والنظر فى معاقبة هؤلاء العساكر وتفهيم ظابطانهم كى لا يحصل إلا مزيد الالتفات فى المستقبل فأخذت الورقة وتوجهت وجدت سعادته نام حيث كانت الساعة ١١ عربى فعطيتها لحضرة الكولونيل فركهاروس وأخبرته بما أمر به سعادة الحكمدار فأخذها وأظهر مزيد ممنونيته عن هذا الالتفات وأنه سيعرف سعاده هكس باشا بما يقضى معاقبتهم بعد ترجمة هذه الورقة المذكورة وتشكرت له وعدت وأخبرت

سعادة الحكمدار بذلك .

فى يوم الأربع المبارك ١٧ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ ونصف عربى قمنا من صوعان لنقطة بلشيك المحل الذى صار[افتقاره] لمعرفة القبودان هلث يوم الخميس أمس تاريخه ووصلنا لنقطة بلشيك الساعة ٤ ونصف عربى وبعد مسيرنا بنصف ساعة حصل إطلاق النار علينا من الغابة الذين كانوا مختفين بها العربان وأرسلت السوارى لاستكشافها وبمناسبة استمرار ضرب النار علينا من الغابة وعدم رؤية العربان بها قد صار إطلاق الرصاص عليهم من السوارى والباشبوزق على مسمع رصاصهم ولم يتحقق لنا أن كان قتل منهم شىء أم لا وأما رصاصهم فقد أصاب منا حصانين ولكن لم تكن الضربات خطره وفى الأثناء سمعنا على بعد صوت مدفع مضروب علينا وبالنسبة لبعد المسافة فلم يصلنا فقط– بعض الناظرين رأوا الدخان الصاعد منه وأما عند وصولنا لجهة بلشيك وبعد أن أعطيت الأوامر لإعمال الزريبة للمعسكر على حسب المعتاد فلكون حادثتها مهمة مستطيلة نوعاً. استصوبنا درجها بورقة مخصوصة لتلصق بهذا للاطلاع عليها عند الاقتضاء وتدرج بهذا الكتاب بتفصيلات ما وقع (خصوصية) وفى الساعة ١٢ عربى مساء حضر حضرة الكولونيل فركهاروس وعرفنى بأنه أخبر سعادة الحكمدار أن القيام سيكون باكر كالمعتاد وحصلت المذاكرة فى شأن حادثة هذا اليوم الأخير فأورى بأن المقتولين هم عشرون نفر من الباشبوزق والسائقين بما فيهم البكباشى ووكيل الأورطة وجميعهم من أورطة حضرة عبد العزيز بك وثلاثة منهم من أورطة حمزة أغا وأظهر مزيد الأسف على ذلك ثم قمنا وبعدها حضر سعادة الجنرال هكس باشا وبعد المحادثة بشأن حادثة يومنا تاريخه قد أخبره سعادة الحكمدار بأن الضرورة ملاطفة حضرات الميرالايات وإظهار الممنونية إلى ما يحصل منهم زيادة الدقة وعلى الخصوص سعادة حسين باشا مظهر فقام سعادته بوقته لخيمته ودعى حضرات الميرالايات للصفة المذكورة وعليه لنا فى أن يكون حصل الموجود ثم توجه له أيضاً سعادة حسين باشا مظهر ولعل وعسى أن يمتنع الخلاف بينهم وأنه لا يتذكر أن لسعادة حسين باشا مظهر الحق فى جميع إجراءاته لأنه لم يخالف

أوامر سعادة هكس باشا لا يعلم ما ينتج منها من الضرر وأما الآخر فلم يرتض قولا بأن أوامره من الضرورة بتنفيذها بدون توقيعنا ولو يحصل منها ما يحصل مع أنه لا يجوز ذلك مطلقاً لأنه غير مبال بما يحدث للحكومة المصرية من التلف لعاقبة أوامره وعلم أن القيام سيكون باكر تاريخه كالمعتاد .

وفى يوم الخميس المبارك ١٨ أكتوبر سنة ٨٣ قمنا من نقطة بلشيك الساعة ١٢ عربى قاصدين عبلى وبعد مسيرنا بساعة واحدة أطلق العدو نحو من ثلاثين عيار من الجهة اليسرى ومن ذلك علمنا اقتفاء العدو .

صار توقيف القلعة[١] واستعدت لضرب النار ولكون انقطع ضرب الأشقياء فقط صار غيار بعد الآخر على مسافة كبيرة فلأجل عدم تأخيرنا (غايتهم الوحيدة) وتشتيتهم من على أضلع القلعة قد أمر سعادة الجنرال لضرب مدفع كروب ساروخين ويا أسفاه من أن المدفع الكروب لم يكن مستعدا للضرب إلا فى مسافة تقريباً نصف ساعة لوجود خلل داخلى به فانجبر الطوبجى لاستعمال المدفع الثانى وما ذلك إلا لعدم دقة التفات الضابطان وريس الطوبجية إذ من الضرورى كما أننا مرتكنين عليه أن يكون دائماً فى كل برهة على هيئة استعداد والأدهى من ذلك أنه بدلا من أن يضرب الساروخ لا أقله على بعد خمسمائة أو ألف متر فكان ضربه لمسافة عشرون متر تقريباً وغاص بالأرض بدون فائدة والثانى لبعد مائة متر وأن إذا كانت حالة المدافع بهذه الصفة فلايكن منهم سوى مشقة التكليف بسفرهم ولو طبيعة أن هذا منسوباً لحضرة عباس بك وهبى حكمدار الطوبجية ومن ذلك فحصل لجميع الحاضرين وعلى الخصوص سعادة الجنرال هكس باشا سعادة الحكمدار مزيد الكدر ثم سرنا كما كنا ووصلنا لجهة يقال لها القداكيم قريب من عبلى وهناك تعسكرنا وعملت الزريبة اللازمة كالمعتاد وسنقوم باكر لعبلى الذى كما قيل موجود بها مياه .

فى يوم الجمعة المبارك ١٩ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ عربى صباحاً قمنا من نقطة القداكيم قاصدين عبلى وفى الساعة ٤ ونصف وصلنا خور على

---

(١) تشكيل المسير فى هيئة مربع .

ولم نجد مياه به فمع ما حصل من الكدر بالنظر لعدم وجود مياه واحتياجنا الضرورى لها فى هذا اليوم أنجبرنا بالسير لجهة يقال لها أم دباكر ووصولنا لها كان فى الساعة ٧ ونصف ولأجل البحث وجد بها بركتين مياه وحل صرف لا تصح للشرب مطلقاً وهناك تعسكرنا وعملت الزريبة اللازمة طمعاً فى كونها تكفينا [المذكورة] وقد كان وأخذ من مياهها ما قدر الله به وكنا على غاية الحذر من من كونها تكفى أم لا مع ضرورة سقية الحيوانات ولله الحمد فى هذا اليوم بليلته وسنقوم باكر تاريخه للبلياب حاملين هذه المياه البطالة لمسافة ثمانية ساعات كما قيل من الخبراء .

فى يوم السبت المبارك ٢٠ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ عربى صباحاً قمنا من نقطة أم دباكر قاصدين البلياب وبعد مسيرنا بساعتين قابلنا غابة لم يتمكن الإنسان من العبور فيها وبينما العساكر سايرين خلف الخبراء إذ وقف الكولونيل فركهاروس وصمم على المرور داخل الغابة قولا منه بأنها أقرب مما عرف عنها الخبير اعتماداً على بوصلة بيده فتعجبنا غاية العجب من أن أفكاره هذه لم تكن صواب إذ أن السفر فى أراضى صعبة كهذه لا ينبغى أن يكون بالبوصلة كونها غابات غزيرة وتكون وما علمنا أفكاره عن هذا الخصوص والوقت لا يلزمنا بالخوض فيها لأن تعريف الخبيرى هو أقوى كونه عالم بهذه الطرق وما أحضرناه إلا لإرشادنا عن الطريق الأسهل لمرور هذا الجيش الجسيم منه ولا لنا اعتبار على حامل البوصلة وبالاختصار فإنه لا يريد من ذلك إلا القول فيما بعد أن هو [المعرف وإلينا نصر الجيش] وكان لا يعتمد على هؤلاء الخبراء الذين أحضرهم سعادة الحكمدار مع كون لم يرى من الخبراء شىء يوجبنا لعدم الاعتماد عليهم حتى كان يقال إنهم لم يريدوا لنا إلا الضرر ولذلك قد جعلنا البوصلة آمنة لنا من أخطارهم مع كون هذا بخلاف ويا هلترى هل يمكنه التقدم بالجيش أو [الضرر] بهذه البوصلة التى أتعبنا بها كامل العساكر من نحو تمزيق هدومهم ودخول الشوك بأجسامهم فضلا عن مشقة الجمال فى العبور وقطع خشب الأصناط بأحمالهم وتارة بأجسامهم وهل لا يدرى أن مع تشبك الأشجار السنط ببعضها والخلاص من بينها يكون مانعاً بالكلية من مرور الجيش وموجباً بلا شك

فى التأخير زيادة عما لو قطعنا الطريق بالميل فهذه خرافة الإنكليز وفراستهم ولو قلنا إن يقصد بذلك الوصول للمياه بسرعة فهل لا يفطن كيف تكون النتيجة لو صادفنا العدو داخل الغابة إن هذا لشىء عجاب ولقد كانت هذه النادرة أخف رحمة فيما صادفناه بعد العصر وهو فى الساعة ٩ ونصف عربى فى أثناء سيرنا إذ توجه الكولونيل ذاته وبعد أن اختفى مسافة عاد وقال إنه لأجل الوصول للخور بسرعة بينما كنا سايرين فوق تل عالى ينبغى علينا العبور من هذه الغابة . . . . للخور وأشار بيده لقطعة غابة ترى من فوق التل كأنها لم تكن . . . . وفقط حشائش خفيفة وبعض أشجار سنط وعند نزولنا فى الواطى وجدت طريق مستقيم وعلى يسارها غابة عالية الأشجار بخلاف [ما تطرق أعلى] ومع كونه عالماً علم اليقين بارتفاع أشجارها ووجود صنف بوص يبلغ ارتفاعه خمسة وستة أمتار فكان الخبيرى لا يرتضى خوفاً من أن يلام فاتبع الطريق وسار عليها وتبعه سعادة الحكمدار مسافة نصف ساعة فزعق الجنرال هكس باشا وقال لى أين الخبيرى فأخبرته بأنه تقدم على هذا الدرب مع سعادة الحكمدار فقال كيف ذلك مع كون الكولونيل فركهاروس عرف عند المرور من هنا وأرسل مندوب يناديه وهو فى حالة الزعل وأحضره وحضر أيضاً سعادة الحكمدار وأمر بالدخول داخل الغابة على الجهة الشمالية فعرض الجيش بهيئته ودخل الغابة حسب الأمر وكنت إذ ذاك رأيت سعادة الحكمدار لقى درب داخل البوص فاتبعته وسرنا داخلا مسافة ساعة تقريباً ولم كانت تنتهى وكان ارتفاع البوص من خمسة لستة أمتار لا يمكن الرائى أن ينظر أو يحقق ما بجانبه على بعد متر واحد ، وفى الأثناء زاغ عن بصرى سعادة الحكمدار وبقيت أنا وأربعة أنفار متحير الفكر كيف تكون نهاية هذه الطريق وكنت لا أسمع إلا ضجة الجيش على بعد بعيد غير ممكن الرجوع إليه [عن معنى] تابعاً أثر سعادة الحكمدار ولم أجده وقد ضاع كل فريق من الجيش والحملة إلى جهة دون معلومية بعضهم بعضا وبينما كنت تائهاً كأمثالى إذ سمعت منادياً ينادى علينا من الجهة اليمنى قائلا ها هنا الطريق فملت حالا اتجاه الصوت وقطعت مسافة عشرة دقائق بدون أنظر أحد فطلعت فى قطعة أرض مكشوفة نوعاً حشيشها واطى فوجدت

من على بعد جانب من السوارى وسعادة الحكمدار وسعادة الجنرال هكس باشا فتقدمت إلى أن وصلتهم ولم يزل الجيش فى التقدم داخل الغابة بحالة توريط فقال سعادة الحكمدار للبروجى التابع لسعادة هكس باشا اضرب تجمع عند القومندان احتراماً له فلم يصغى لأمره فكررها سعادة الحكمدار بحالة الزعل زيادة عن عشرين مرة ولم يصغى له وبالأخير استهل البروجى بالنداء فأمره سعادة الجنرال هكس باشا بتوقيف النداء فتقدم سعادة الحكمدار لجهة تل عالى بحالة الزعل عالماً بأن مسافة الخور لم تزل بعيدة وفضلا عن الخطر فلم يمكن وصول الجيش إليه إلا ليلا وهذا غير جايز بالنسبة لما لحق العساكر من العطش فاتبعته وبقى سعادة الجنرال هكس باشا واقفاً . . . بالمنطقة المذكورة وصار ينادى سعادة الحكمدار على أحد فلم يجدوا بالصدفة [نظر] لمعى أفندى البكباشى فأخبره بأن يأمر البروجى حالا للنداء على القلعة بالرجوع لهذا التل وعدم لزوم التقدم حيث المسافة بعيدة للخور وكانت الساعة ١١ عربى فبوقته رجعت القلعة قاطعاً البوص لاتجاه صوت البروجى وتوجهنا لجهة التل وبوصولنا فوقه فكنا نرى العساكر والحملة تائهين بالغابة كل جمعية على حدتها على مسافة ألفين وثلاثة آلاف متر تقريباً وأول من طلع التل من الجيش كانت الطوبجية ومدافع الكروب ولما رأى سعادة الجنرال هكس باشا ذلك انجبر بالعودة لجهة التل واستمرت العساكر والحملة فى طلوع التل اتجاه ندا جميع بروجية الجيش ولم نتهى لحد الساعة ٢ عربى ليلا وكان كل من لحق التل من العساكر يأمره سعادة الحكمدار حالا بقطع أشجار السنط لإعمال الزريبة خوفاً من انتهاز العدو هذه الفرصة الملعونة وتعسكرت العساكر فوق التل بحالة غير منظمة لضيق المحل حتى صار كل إنسان لا يدرى أين تابعيته وبات كل عسكرى وكل ضابط بأى جهة لحقها بالتل خائفين أفكارهم من هذه المسألة وكان سعادة الحكمدار يطوف بنفسه بدايرة القلعة فى اطمئنان العساكر وتشجيعهم لصرف ما لحقهم من غشاوة الفكر حيث كانوا يتكلمون بألفاظ جهلية فمنهم من يقول إن الحكومة لا تقصد بسفريتنا هذه إلا لإعدامنا ولو لم يكن ذلك لما قادنا القومندان الإنكليزى لجهة الغابة ومنهم من يقول إنه كان مستعداً لقتل نفسه

خلاصاً من ورطة الدخول فى هذا الحشيش الناشف ومن الضابطان العظام من يقول إن هذه بلا شك مقصدة من الإنكليز فى إعدامنا ومن الباقين من استشهد مؤكداً لما يلحقه من الموت داخل الغابة وصارت الألسن عموماً تطعن بما يأتى فكر صاحبها من الملحوظات حسنة كانت أم سيئة ، وفى الواقع لو لم يكن البارى مريد لنا بالنصر وقلوب أعداءنا عمية لكانت حياة هذا الجيش المركب من خمسة عشر ألف نفس وخمسة آلاف جمل تقريباً وألف حصان وبغل موقوفة على كبريتة واحدة تضع فى هذه القشوش الناشفة ولا يمضى برهة زمانية إلا وهى آخذة بأرواح الجيش عموماً فحمداً لمن له الحمد على هذه المنة العظيمة وصرنا بعد هذا لا نفكر فى أعدائنا طامعين فى رضا البار على هذا القياس ولقد مضت هذه الليلة بين كان ويكون إلى أن أصبح الصباح ليوم الأحد المبارك ٢١ أكتوبر سنة ٨٣ عازمين على القيام للبليات حامدين المولى على إنقاذنا من بلية ليلتها (اسم التل التبنة) .

فى يوم الأحد المبارك ٢١ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١٢ عربى صباحاً قمنا من التبنة قاصدين خور البليات وفى أثناء سيرنا إذ بلغنى من حضرة عباس بك وهى أن ليلة أمس تاريخه الساعة ٢ عربى حضر لطرفه المستر افنس مترجم سعادة الجنرال هكس باشا وأخبره عن لزوم حفظ الخبراء فى هذه الليلة وعدم تمكنهم من الهروب ولما رأى حضرته ذلك قد أفهمهم فتعجبوا من أن لم يحصل منهم شىء يوجب حبسهم فأخبرهم بأن لا يفتكروا فى شىء وأن ما دام أن إحضارهم هو بمعرفة سعادة الحكمدار فهو المسئول عنهم وأنه ما دام كذلك فيلازم توجيههم لطرف سعادته وتعريفه عن هذه المسألة وقد كان وتوجهوا وكان بالصدفة سعادة الحكمدار متوجه لطرف سعادة الجنرال هكس باشا وبعد المكالمة فيما هو لازم أخبره بما بلغه بخصوص الخبراء واستفهم عن السبب الموجب لذلك فأنكر فى الحال وقال إنه لم يأمر بذلك وفقط أمره كان قاضياً للالتفات إليهم حتى لا يخرجوا من المعسكر فأخبره سعادة الحكمدار بأن هذا لا يصح لأن هو لا أنا الذى أحضرتهم وائتمنت عليهم ولحد الآن لم أرى منهم غش مطلقاً وكيف يكون العمل لو هربوا منا فإذا تراءى لكم عدم أمينتهم فهذا يكون بالمخابرة

معى لإثباته إذ أن حبسهم بدون علمى يعد خيانة منى معهم وأنه لا ينبغى التعدى على ناسى فأجابه لا يقصد بذلك ضرورة تعدى عليهم وإنما ما دام الأمر كذلك فلا مانع من استحضارهم وتطمينهم وقد كان وحضروا وانصرفت على ذلك فيا للعجب وما أسرع حصول الوسايط لخلاص أنفسهم أهل لا يعلم أين السبب الوحيد الموجب لتعب الجيش ووقوعه فى الأخطار يوم أمس الذى لا يذكر ما هو إلا لمخالفتهم للخبراء اعتماده على بوصلة الكولونيل فركهاروس ، وقد قالوا الخبراء غير مرة إنهم لم يكونوا مدانين إذا لم يتبعوا كلامهم فكيف مع كون الكولونيل فركهار هو السبب وعمومنا يعلم ذلك فهل مع قصر حجته للخلاص من خطر أمس الذى لحقنا عموماً لم يجد حيلة سوى حبس الخبراء ليقال أو يشاع أن ما حصل هو غش الخبراء ليمحى ما لحق من أفكاره السيئة بخصوصهم وهو ينال فرصة أدهى من ذلك وإما نحن [بعجزنا] وأملنا الشديد فى الله سبحانه وتعالى لا نزال طالبين أن يمنحنا بعظيم تلطفاته من كل ضرر يحصل كما منحنا أمس تاريخه وأما مرغوبنا من جهتهم فلا لنا سوى راحتهم مهما أمكن للخلاص من شرهم و يدعونا معتمدين على المولى مقتادين بخبرائنا الذين أظهروا صداقتهم لنا حتى أوصلونا لهذه الجهة إذ لو كانوا يريدوا عدم نصرتنا لكانوا أضلوا بنا فى وسيع الخلوات لأن التمسك بالبوصلة لم يكن إلا منذ ثلاثة أو أربعة أيام قرب وصولنا للجهة المقصودة وبعد مسيرنا بساعة قد أتى علينا الخبيرى مبشراً بوجود قرب المياه بالخور فهللت العساكر لهذا الخبر المسر ووصلنا الخور وهو خور البلياب الساعة ٢ ونصف عربى وتعسكر الجيش بمسافة خمسون متراً بعيداً عن الخور وكانت العساكر يتزاحمون على المياه فرحين مسرورين وعرض الخور عبارة عن خمسة عشر متر تقريباً وبعد أن عملت الزريبة اللازمة كالمعتاد وأعطيت الأوامر بإقامة الجيش هنا يومنا هذا وباكر تاريخه أيضاً وسيكون القيام بعد باكر الذى هو يوم الثلاث ٢٣ أكتوبر سنة ٨٣ ولم تمضى عشرة دقائق إلا والعربان قد تمكنوا من البر الشرقى للخور واستمر إطلاق النار على القلعة من الساعة ٣ لغاية الساعة ٣ نهاراً وبالنظر لعدم رؤيتهم كونهم مختفين بالأشجار فلم يضرب عليهم نار من القلعة إلا ما ندر احتراساً

من جناح رصاصنا فى الفارغ البطال وأما هم فلم يمتنعوا من الضرب علينا خلال النهار على بعد تقريباً من سبعمائة لألف متر وتارة يقربوا إلينا مختفين فى الحشيش زاحفين على بطونهم على مسافة خمسمائة متر تقريباً ومن كثرة هذا الضرب فقد قتل منا خمسة منهم ثلاثة على شاطئ الخور واثنين داخل القلعة خلاف ثلاثة عشر أيضاً جرحوا داخل القلعة وأصابوا أيضاً منا بالقلعة حمار وجمل وكان الرصاص يمر لبعد مرماه من فوق خيامنا وتارة من الأرض ولله الحمد فلم يصاب منا إلا هذا العدد القليل وفى أثناء ضربهم قد رأى سعادة الجنرال هكس باشا إطلاق كم جلة[1] ومدفع كروب والساروخ على مسمع رصاصهم لكى يبعدوا أو يمتنعوا عن هذه المناوشات الخطرة بالقلعة وأما منهم فلم يعلم ما قتل لعدم علمنا بجهة وجودهم وعدم إحكامنا التوجه لاستكشاف ذلك لكونهم كامنين بالأشجار ولما علم سعادته بأن [لهما أن] يقصدوا معاكستنا فى أثناء الليل واقترابهم لدايرة زريبة القلعة قد أمر بإرسال أورطة من العساكر البيادة للبر الشرقى من الخور هناك لعمل زريبة محكمة لهم ويبيتون بها لخفر الخور على قطعة أرض تكون مكشوفة وقد كان وتعينت الأورطة ولما أن أدركت العربان الأشقياء ذلك تباعدوا عنا وامتنع ضرب النار علينا وصرنا آمنين منهم ليلا — وفى الساعة ٣ عربى ليلا حضر سعادة الجنرال هكس باشا باشا بطرف سعادة الحكمدار بعد المكالمة فيما هو لازم قد أخبره سعادة الحكمدار بأن من كون أن كثر رصاص العدو يومنا تاريخه هو كان قريباً من الفرسين فلربما هذه تكون مقصودية منهم وأن المترائى لسعادته هو عدم رفع الفرسين وهما فرس سعادة الحكمدار وفرس سعادة الجنرال هكس باشا قومندان الفرقة فأجابه سعادته بالقبول وعزموا على عدم رفعهم باكر وقد كان زوبتنا آمنين من عدونا هذه الليلة ليلة الإثنين المبارك .

فى يوم الإثنين المبارك ٢٢ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٢ عربى قد ابتدأ العدو علينا بضرب الرصاص بحالة الاختفاء بالأشجار من الجهة القريبة بعيد عن الأورطة الموجودة بالبر الشرقى واستمر الضرب علينا لغاية الساعة ٥ وقد قتل

---

(١) طلقة .

منا خمسة على شاطئ الخور من الجهة القريبة ولما نلاحظ ذلك قد أمر سعادة الجنرال هكس باشا بضرب أكم مدفع كروب وأكم مدفع ساروخ على مسمع رصاص العدو وعند أول مدفع من الكروب حالا امتنع ضرب النار علينا ولما توجّهت السوارى للاستكشاف خارج القلعة على بعد ألفين لثلاثة آلاف متر قد وجدوا أحد مشايخ العربان مقتولا هو وحصانه بإصابة مدفع من مدافع أمس تاريخه ملقياً على الأرض لابساً قميص من الزرد وطاقية من النحاس وحصانه أيضاً مغطى بكسوة مخصوصة ولكون حصل به انتفاخ من شدة الحرارة فلم أمكن اقتلاع الكسوة الزرد لضيقها عليه ولا بد وأن يكون هذا من عمداء الأشقياء وكنا مشتاقين لمعرفة اسمه وتبليغه ولكن لعدم وجود أحداً معنا من أهالى كردفان فتعسر علينا الوقوف على حقيقة هذا الرجل — ثم وفى الساعة ٧ ونصف قد ابتدوا الأشقياء بضرب النار علينا ولغاية الساعة ٩ عربى قد أمر سعادة الجنرال هكس باشا بضرب أكم مدفع كروب عليهم اتجاه مسمع رصاصهم وقد كان وتشتتوا وقد علم أن عدد القتلى والجرحى منا فى هذا اليوم هم ثلاثة قتلوا وثلاثة جرحوا وأما منهم فما علم خلاف ثمانية والخيال الذى أوضحنا ذكره ولا نشعر به أن ربما وأن يكون قتل منهم مقدار وآخر لأن فعل الكروب والساروخ وكذا الرمنتون[1] شيء فيما لا يخفى على العموم وإنما السبب الوحيد فى عدم المعلومية بمقدارهم هو بعدهم فى البر الشرقى واختفائهم بالأشجار وهو الأمر الذى يتعسر علينا تحقيقه خوفاً من الدخول فى الغابة واعطاء عدونا فرصة الافتراس بنا .

فى يوم الثلاث المبارك ٢٣ أكتوبر سنة ٨٢ الساعة ١٢ عربى صباحاً قمنا من نقطة البلياب حاملين مياه يومين للرهد وبعد مسيرنا بمسافة ساعة ونصف واقترابنا من محل عالى قد نظر العدو على بعد ألفين متر أتيا يلدربنا [فصبر] سعادة الجنرال هكس باشا حتى صار الجيش والحملة جميعها فوق التل وأمر بتوجيه مدفع كروب إليهم وانتظر مسافة نصف ساعة حتى أن صاروا مستعدين وأعطى الأمر بضرب المدافع وقد كان وضرب واحد وعشرون مدفع كروب على أبعاد مختلفة فأصاب منهم أربعة مدافع فالأول منهم كان على بعد ثلاثة آلاف متر وقد صادف وقوعه

(١) مدفع الرمنجتون .

فى وسط جمعية مؤلفة من تقريباً ثلاثون لأربعون شخصاً فمات منهم قليل كما نظر ذلك بالنظارات العظام فأخذوا يموجون مراراً لجهتى اليمين والشمال فأتتهم جلة من الجهة اليسرى ثم أخرى من الجهة اليمنى فرجعوا خلف طريقهم راحلين بخيولهم ثم مكثنا قليل من عشرة دقائق بدون ضرب فأتوا لأخذ قتلاهم ونحن نراهم على بعد المسافة المذكورة بالنسبة لارتفاع التل ثم أطلق عليهم كم جلة أخرى فتشتتوا داخل الغابة والبوص ثم أمر سعادة الجنرال هكس باشا بالسير فسرنا مسافة نصف ساعة ونزلنا فى الواطى وإذا على بعد سمعنا ضرب نعارة[1] من الجهة اليمنى أمامنا فعلمنا القصد منها تجمعهم ولم يمضى زمن ساعة تقريباً إلا واشتغل الضرب علينا من ثلاثة أضلاع القلعة ونحن سايرين بهيئة قلعة كالمعتاد وكان قد تعين حسن أفندى شوقى البكباشى بأورطة من البيادة ليحفظ خلفنا من هجوم العدو البالغ أثرنا ولقد ظهر من حضرته ما يوجبنا لتقديم الشكر له حيث بذل كامل جهده فى حفظ جمال الحملة والضلع الرابع من القلعة مستمراً بالضرب على الأشقياء حيث كانوا يقتربون إليه لمسافة مائة وخمسون متر تقريباً وصرنا فى مناوشة جسيمة طول سيرنا وكنا نسير نصف ساعة ونقف بعض دقائق من شدة هذه المناوشة لحين وصولنا لنقطة أودية وكان جميع المناظرين بالنظارات يوكدوا لنا وقوع كثير من العربان مقتولين من على كامل ثلاثة أضلاع القلعة وفى بعض الأوقات حين ما ترى شدة ضربهم علينا كان سعادة الجنرال هكس باشا يأمر بضرب مدافع الجبلى عليهم وعند وصولنا للنقطة المذكورة تعسكرنا بها بعد إعمال الزريبة اللازمة كالمعتاد حيث كانت الساعة ٨ ونصف عربى وصرنا جميعاً فرحين فى هذا اليوم ممتعين بأخذ ثأر من قتل منا فى عهد قيامنا من الدويم لحد هنا ولابد أن منذ ذلك يحصل لعموم عسكرنا مزيد من النشاط وصرف ما عندهم من الوهم لملاقاة العربان المدعين المهدوية وفيما يلزمهم دوام الاستيقاظ غير مبالين بما يكون عددهم عالمين بحركاتهم المريبة وأنه مع كثرة رصاصهم علينا فلم يقتل منا سوى واحد وجرح ثلاثة

---

(١) طبلة الحرب .

وحصان وحمار ولله الحمد على ذلك وأما من قتل منهم فقتل من حقق بالنظر العين من مايه ثمانية وخمسون وقد اتسع الضرب علينا الساعة ١٠ ونصف عربى نهاراً وعلمنا أن القيام سيكون باكر تاريخه لخور الرهدة وهناك يصير عمل الاستحكام القوى وجعله نقطة عسكرية لوجود كثرة المياه به كما قيل من الخبرا ومن الشيخ أده الذى هو من مشايخ عربان الهيائين الموجود معنا

فى يوم الأربع المبارك ٢٤ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى نهاراً قمنا من نقطة أودية قاصدين الرهد وقبل قيامنا بنصف ساعة وجدت إعلانات كثيرة بدائرة الزريبة وكان صار وضعهم ليلا من العربان الأشقياء المقتفين أثرنا على بعد مايه ومائتين متر يريدون بذلك تخويفنا وأن نؤمن بينهم الشقى محمد أحمد والرجوع عما نقصد فعله معهم ولقد صار جمع هذه الإعلانات المذكورة من خارج الزريبة وهم ينوفوا على المائة وكسور إعلان وأحضروهم لطرف سعادة الجنرال هكس باشا وسعادة الحكمدار وبعد مطالعتهم قد أقروا بحرقهم وبالنسبة لعجيب الألفاظ المكتوبة بهم قد صار أخذ صورة أحدهم حرفياً لدرجه بهذا الكتاب وها هو الإعلان المذكور بحروفه

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدى ابن السيد عبد الله إلى من يسمع من أهل الجردة[1] ممن له عقل فإنه لا يخفى على ذى عقل أن الأمر بيد الله لا يشاركه فى ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ ولا عصمة لأحد إلا عصمة الله فإذا فهمتم ذلك فاعلموا أن الله واحد ولا تغتروا بأسلحتكم ولا بجموعكم التى تريدون أن تقاتلون بها جنود الله فإنه لا قوة لشيء دون الله وإن قلتم أن مهديتنا مكذوبة فاعلموا أن التكذيب إنما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف من المخلوق ويستعجز قدرة الله فإذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فإن الترك الذين تقلتهم شكوا للحق عز وجل وقالوا إلهنا ومولانا أن المهدى قتلنا من غير إنذار فأقول أنذرتهم يا رب فلم يستمعوا وحضر على ذلك شاهد بعد

---

(١) يقصد التجريدة .

قول علمائكم فذنبكم عليكم فاقبلوا على بعضهم بعضا يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين فإن كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله وتصدقون بمهديتنا وتخرجوا إلينا مسلمين ومن سلم يسلم وإن أبيتم إلا الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام . ١٩ الحجة سنة ٣٠٠

وقد يتلاحظ من ذلك تهديدهم لنا علماً بما قاسوه من رصاصنا يوم أمس تاريخه ومدافعنا الكروب ومن المحقق أننا لا نخشى بأسهم ولا نؤمن بنبيهم الكذاب وما حملهم على كتابة هذه الإعلانات إلا لعلمهم تركيب القوة الموجودة معنا وقصرهم عن تقديم حجتهم للخلوص من رزايانا وليس نحن من يدخلهم الخوف من تهديداتهم هذه وأما إذا كان مقصدهم أعمال الحيل لدخولهم تحت طاعتنا خوفاً مما يلاقونه من أشد العذاب فلا لزوم لتكليف خاطرهم بكتابة أباطيل كهذه وما عليهم سوى تقديم أنفسهم وعفا الله عما سلف والأغرب من ذلك أنه مع إصابة كثيراً منهم يومين تاريخه فلا يمحق من أذهانهم ما كتبه هذا الملعون على قلوبهم حتى يأتونا طائعين ثم وبأثناء سيرنا مررنا على حلال كبير إذ كان فى مواجهة الجيش دخله كثير من عساكر السوارى والباشبوزق ووجدوا جواب أصله وارد من الشقى الكذاب فى شهر ربيع آخر سنة ٣٠٠ بعد أخذ بندر ومديرية كردفان لبعض من المشايخ يطلب منهم جميع ما نهبوه من كردفان وحضوره إليه وبما أن هذا الجواب مما يلزمنا حفظه بهذا الكتاب نظراً لما فيه من الملحوظات الكاذبة فالتزمنا بأخذ صورته هنا حرفياً وها هى

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم — وبعد فمن عبد ربه محمد المهدى بن السيد عبد الله إلى أحبابه فى الله خصوصاً أولاد أم سريرة والنوايبة والحاميد وأولاد محمد والمعالية والهبانية وسائر المجاهدين مع الشيخ ماديو — أما بعد أيها الأحباب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ونحن يوم أكرمنا الله وأعزنا بالإسلام فلا نطلب

العزة فى غيره وها أنا أراكم قد توانيتم عن الجهاد فى سبيل الله وهربتم بالغنايم التى هى نار الله الموقدة وإنما هربتم بالجمر والفقر والعقارب والحيات وأبدلتم الحسنات بالسيئات فاحذروا أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فإنه يخسف الله بكم الأرض أو يرسل عليكم الصواعق أو تذيق بعضكم بأس أو يمزقكم كل ممزق ومع ذلك أنتم تعلمون ما جرى على الترك بتسليمهم ثوب الملك والهيبة وكل ذلك لتعديهم حدود الله فانظروا الآن كيف صاروا عندكم ومكنكم من نواصيهم وأورثكم أرضهم وديارهم ومتعكم فى النظر إلى ما كان محجوباً عنكم فاشكروا نعمة الله عليكم فإن النعم حسنة قيدوها بالشكر فإنها لا زوال لها مع الشكر لا بقاء لها مع المنكر ومع ظلم الترك وطلبهم الجزية التى لم يأمرهم الله بها ولا رسوله كنتم سامعين طايعين منقادين لأمرهم حيث ما أمر فكيف الآن أظهرنا الله إليكم من جود فضله إلا توافقوا على إقامة الدين وهلاك القوم المشركين وإنما بسطت لكم هذا كله لأجل ما بلغنى عنكم أنكم . . . . أتيتم الحياة الدنيا على الآخرة وأحببتم جمع الغنائم طمعاً فى الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها جرعة (شربة) ماء وحيث فهمتم ذلك فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وصدق بأنى المهدى المنتظر فليسلم كل ما عنده وتحت يده من الغنايم المضرة من نقود ورقيق وخيول وأسلحة وغيرهم وحاصله إذا انتبهتم ورجعتم وسلمتم ما عندكم من الغنايم فقد سامحناكم وعسى الله أن يعفو عنكم وتكونوا من جملة أنصار دين الله وإلا فقد بؤتم بغضب من الله ورسوله ثم غضبنا وسيحل ما حل بغيركم فضلا عن دخولكم فى وعيد قوله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة سيما قد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن من أخذ شيئاً من الغنيمة فإنه يقتل وإنه حيث ما كان يراه صلى الله عليه وسلم فيقتله وحيث علمتم أحبابى فأذكر فما بعد هذا الإنذار إلا الفوات فإن لم تستمعوا ما أمرتكم به فأذنوا بحرب من الله ورسوله أو سيحوا فى الأرض فسلاسل القدرة فى أعناقكم حيث ما توجهتم ونواصيكم فى القبضة بإذن الله تعالى فإنكم تعلمون أن معى من جنود الله من لا قبل لكم بها فسيفعلون فيكم ما فعلوه فى غيركم

من المخالفين والسلام .

١١ ربيع آخر سنة ٣٠٠ محل الختم حاشية وكذلك لعرض هذا لمحمد الأعسير ويلزم له الكبير أجرى العمل به يعنى يتسلم كل ما عنده من الغنيمة للشيخ [ماديو] من الأنصار وبعد تسليمكم للشيخ ماديو المذكور فكل من سلمه شيء مما ذكر فيوضحه فى ورقة ويرسل للنظر فيهم وإجراء العمل بموجبهم والسلام . تاريخه

[الصلح] الأول بسم الله الرحمن الرحيم الثانى لا إله إلا الله الثالث محمد رسول الله الرابع التاريخ ١٢٩٩ وفى الحضرة محمد المهدى ابن عبد الله .

وكانت المناوشة فى هذا اليوم كمناوشة أمس تاريخه وقتل منهم كثير وأما منا فلم يجرح سوى اثنين ومات واحد واستمرت هذه المناوشة إلى أن وصلنا لخور الرهد وهناك تعسكرنا وعملت الزريبة اللازمة كالمعتاد وأما الخور فلم توجد به المياه بالصفة التى تبالغت لنا من قبل بل وجدت الحشايش بكثرة واتساعه تقريباً من ألف متر عرض وطول فلا يعلم والمياه الموجودة به هى ببعض حفر وتستحيل الاكتفاء منها ما لم يصير أعمال محل كحفرة متسعة بعد نظافة الحشايش منها وطرق صغيرة من جميع جهاتها كى بها توصل المياه للحفرة المذكورة ومنها تؤخذ المياه وقد قيل إن هذا الخور يملأ سنوياً وعدم ملوه فى هذه السنة هو بالنسبة لعدم كثرة الأمطار ومع ذلك فلله الحمد على وجود ما وجد به بالنسبة لما لنا من احتياج إليها ولحد الآن الساعة ١٢ غروباً فلم نعلم ما هو التصميم على جعل هذه نقطة عسكر ولعل وعسى أن يختلف الرأى نظراً لبعد المسافة للأبيض وعدم وجود مياه هنا كافية فيما لو تركناها بالعساكر وما لا يلزم من [عدسات] وجمال وغيره إذا لأوفق هو تقدمنا بهيئتنا الحالية لجهة المليس وهناك يستحسن عمل الاستحكام القوى بنقطة عسكرية كافية لأنها لا تبعد عن الأبيض زيادة عن مسافة يوم وأما هنا فلا يكفى ستة أيام وإذا حصل التصميم على هنا وهو الرهد فما كيفية المواصلة معه بعد تقدمنا مع علمنا بوجود الأشقياء بكل الطرق وهل نؤمن الطريق بوجودها ونحن آمنين عليها من غدرات عدونا ولا نخشى استهزائه بها وفضلا عن إعدامهم ووجودهم بلا فائدة فى الوقت الراهن فإن ذلك

تضعيف فى قوتنا المزعزع بها هذه الجهات ومع ذلك فسنرى ما يتفق عليه الحال باكر تاريخه الذى هو يوم الخميس ٢٥ أكتوبر سنة ٨٣ ووصولنا فى الساعة ٨ ونصف عربى

فى يوم الخميس المبارك ٢٥ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٣ ونصف عربى صباحاً حضر بطرفى حضرة الكولونيل فركهار وحصلت المذاكرة بيننا بشأن نقطة الرهد فأوضح أفكاره بأن لا يصح إجعال هذه نقطة عسكرية لأن المسافة بعيدة للأبيض وإن جعلها هنا لا ينتج منه سوى تضعيف قوتنا وأنه إذا كان ولابد يلزم أن تكون بالملبس الذى هى قريبة جداً وموجود بها مياه بكثرة كما قيل فأخبرته بأنه لحد الآن لم يحصل اتفاق وفقط هذا كان حصل التكلم فيه ونحن داخل الغابة ولعل أن ترجع أفكارهم لرفض هذا المحل وبعد المذاكرة قام لخيمته وفى الساعة ٤ ونصف عربى قد تحقق على بعد ثلاثة آلاف متر جمعية العرب فى البر الغربى مؤلفة من خمسة عشر نفر تقريباً تاركين للخور واحد بعد واحد واثنين بعد اثنين فتشابه كثيراً من ضباطنا أن لا يخلو من أن يكونوا هؤلاء فحضروا إلينا طائعين ومعهم من يقول إنهم يحضرون لأخذ مياه حيث لم يكن بهذه الجهة خور خلاف هذا فللترجيح قد تنبه من سعادة الحكمدار على أحد الخبرا برفع العلم الأبيض تطميناً لهم متعشمين حضورهم ولمناسبة وجود عساكرنا من داخل الخور لجلب مياههم وتقدم هؤلاء العربان قدم بعد آخر ظننا أنه الباعث فى عدم إمكانهم الحضور بسرعة لربما يكونوا رأوا العساكر الموجودة بالخور وخاشيين بأس الحضور لئلا يصيبهم نارهم فأرسل سعادة الجنرال هكس باشا أحد ضباط أركان حرب المدعو يوسف أفندى الجزايرلى راكباً جواده بتعليمات لهم وهو رافع الإشارة البيضة فى طريقه إليهم ونبه عليهم بعدم ضرب نار عليهم وقد كان وتوجه وبعد نزوله بالخور وتقدمه إليهم حتى صار بينه وبينهم تقريباً من ماية وخمسون متر رافعاً لهم الإشارة البيضة وإذ على حين غفلة أطلقوا عليه عيارين نار فروا أحدهم من الجهة اليمنى والآخر من الجهة اليسرى ولله الحمد لم يصبه شيء ورجعوا سالمين خلف ظهورهم وأما هو فلم يطلق عليهم نار بناء على ما أعطى إليه من التعليمات ومن ذلك يرى أنهم

حقيقة حضروا لأخذ مياه بالنسبة لعلو الحشيش كانوا يظنون عدم رؤيتهم ولما استشعروا بقرب هذا الضابط فخوفاً منه أطلقوا عليه الرصاص وفروا هاربين وصرنا من وقتها لغاية الساعة ١١ عربى ونحن فى مناوشات خفيفة معهم وخلافهم من جهات المعسكر وأما فى الساعة ٥ من هذا اليوم رأينا بعض تشغيل حامل بمركز القلعة فى أعمال طابية وبالاستفهام علم أن تكون العزم هو على الإقامة هنا أكم يوم ترأى لسعادة الجنرال هكس باشا أعمال طابية مرتفعة ليوضع فيها مدفعين كروب ومدفعين جبلى حتى لو نظر على بعد جمعية من الأشقياء فعوضاً عن مرور المدافع هنا وهناك وسط المعسكر حالا يضرب من على سطح المعسكر لحصول السهولة وأما المعلوم لنا من كون أنه بعد وصولنا لهذه النقطة أمس تاريخه فعلى حسب سابقة التنبيهات على حضرة وهبى بلك قائمقام أركان حرب يوضع خيمة سعادة الجنرال هكس باشا فى مركز المعسكر مهما كان موقعه مرتفعاً كان أو منخفضاً — صار وضع خيمة سعادته بمركز المعسكر حسب السوابق وأعلم سعادته بما سبق من العربان بينما كنا بخور البليياب حين الضرب على القلعة من الغابة قد دعى حضرة البلك المومأ له وأخبره بأن وضعك خيمتى بهذه الجهة المرتفعة لا تقصد به إلا إصابتى من العدو ولذلك فإنى أرى الأحسن يصير نقل خيمتى حالا لجهة أخرى وذلك كان فى الساعة ١ عربى ليلا من ليلة الوصول ولمناسبة عدم إمكان نصب الخيام فى الليل حسب أمر سعادته فصار إبقاء هذه المناورة لباكر تاريخه وبقت هذه المسألة موجودة فى ذهن سعادته لحين ما أصبح الصباح [وعوضاً] عن أن ينقل خيمته للمناسبة التى ذكرت حتى بان سوء الظن فى سعادته من الضابطان والعساكر حتى لا يتصوروا أن نقل خيمة سعادته بعد أن بقيت لابد وأن يكون حصل له نوع خوف من إصابته برصاص العدو بالنسبة لارتفاع خيمته داخل المعسكر فأمر بأن من حيث سيصير إقامتنا هنا أكم يوم وهذه النقطة هى مرتفعة فلأجل حفظ المعسكر وعدم حصول اللخبطة فيما لو أتانا العدو على بعد فيقضى أعمال هذا المحل طابية عمومية فى وسط المعسكر لضرورة لزومها وأن لا يرى أدنى مانع من نقل خيمته لجهة أخرى ما دام ترأى لزوم ضرورة هذا المحل وبناء عليه صار

نقل خيمته لمحل واطى خلف الزريبة وعملت الطابية التى داخل مركز المعسكر
فى يوم الجمعة المبارك ٢٦ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٣ ونصف عربى بعد ضرب النفير لخروج الجمال للمرعى فقبل التمكن من خارج الزريبة ما نرى إلا والعربان أطلقوا علينا الرصاص بشدة وكانوا إذ ذاك مختفين بالحشيش على بطونهم فجاوبتهم العساكر الموجودة خارج الزريبة ولم يصاب من عساكر سوى اثنين بجروحات خفيفة وفى الأثنا أيضاً صار ضرب النار علينا من الجهة الغربية من داخل الخور فجاوبتهم العساكر ولم يصاب منا أحد ولمناسبة رؤيتهم على بعد ألفين وثلاثة آلاف متر متجمعين للحضور إلينا قد تنبه بضرب مدفعين كروب عليهم للمسافة المذكورة وقد كان وأصاب منهم مدفع واحد وبالنظارات علم بعد سقوط الجلة فى وسطهم قتل منهم أكم واحد وولوا بعدها هاربين وامتنع ضرب الرصاص من الجهتين حيث كانت الساعة ٣ وربع نهاراً وقد حضر سعادة الجنرال هكس باشا لطرف سعادة الحكمدار وحصلت المذاكرة فقال سعادة الجنرال لسعادة الحكمدار إنه من كون صار وصولنا لهنا فالمتراءى هو إرسال الخبيرى أحمد صبيح بجواب إلى الملك آدم ملك جبال تقلى ونطلب منه حضوره لهنا مع جانب خيالة لمساعدتنا كما أخبرنا بذلك قبل قيامنا من الخرطوم وننتظر وصوله هنا بما أن ذلك ضرورى فأجابه سعادة الحكمدار بأن من خصوص إرسال الخبيرى لملك تقلى فهذا لا يصح مطلقاً لأنه لا يمكن الاستغناء عنه بطرفنا فى الحال وخوفاً من أن العربان يقتلوه وأما الملك آدم فالأحسن أن لا يعتمدوا عليه مطلقاً حيث لا يخفاكم أن الملك المذكور من عهد افتتاح السودان فى وقت المرحوم جنته مكان محمد على باشا إلى الآن وهو خارج عن طاعة الحكومة وكثيراً [ما تلفت] عساكر وضابطان بخصوصه لغاية ما رأت الحكومة تركه على حاله وفقط ربط عليه جلبة مخصوصة يرسلها من طرفه للحكومة سنوياً وفى نظير ذلك جارى إرسال جملة هدايا إليه تساوى زيادة عما هو متحصل منه وما دام أن هذه خصايص الملك من قديم الزمن فبأى كيفية نرتكن عليه فى هذا الوقت الصعب المهم ولربما يتصور فى عقله ضعفنا ويكون من أكبر العصاة فى الوقت الحاضر والمتراءى لنا هو تركه على

ما هو عليه بدون السؤال منه عن أى شىء أما كوننا نفتكر أنه من العاصيين لمحمد أحمد فهذا لا يطمعنا فيه وإذ صدقنا قول الشيخ أده فيما أبداه بخصوصه بأن يريد مقابلتنا حين ما يعلم اقترابنا إليه فلم تكن نقطة أقرب إليه من هذه النقطة وإذا كان له مرام حقيقى وميل لجهتنا فكان حين ما بلغه قيامنا يعرفنا عن الجهة التى يرغب فيها مقابلتنا وإن قلنا أنه لا يعلم أين مستقرنا الآن فهذا غير ممكن لأن الأخبار وعلى الخصوص فى السودان قريبة الوصول وإذا اعتمدنا على صداقة الشيخ أده كون هاجر من أوطانه وحضر إلينا فعلى حسب المسموع لنا هو أن الشيخ أدة المذكور ما هاجر إلا لكون صار رفعه من شياخة الهبانيين وتنصيب شيخ بدله ولو لم تكن القبيلة مبسوطة منه فكان لا أقله حضر أحد أقربائه أو أحد إخوانه ليسألون عنه ما دام فى علمهم الأكيد أنه حضر مع الجيش وإنما يا سعادة الجنرال أن الشيخ أده هذا ما حضر إلا طامعاً فى أن ترجعه لمنصبه الأصلى وهى الشياخة وأن فائدة الخطاب السابق إرساله ونحن بالدويم لملك تقلى حجة رفيق الشيخ أده المذكور فهذه أفكارى بخصوصه أما إذا كان ما زال متراءى إرسال من يلزم للملك المذكور فلا مانع من أن يبحث على من يمكنه الوصول المخابرة إليه لا عن الشيخ أحمد صبيح الخبير لشدة احتياجنا إليه وقد طالت المباحثة بشأن ذلك وانتهت على العرف وحصلت المذاكرة بعدها عن الطريق الأسهل التى سيمر الجيش فيها لجهة الأبيض فاستقر الرأى على قيام الجيش من هنا بعد باكر تاريخه الذى هو يوم الأحد لجهة علوبة بمياه يومين ومنها لجهة كازقيل مياه يومين أيضاً ثم منها لجهة المليس وهناك يومين القول الأخير عن أعمال النقطة اللازمة لحفظ النقطة [وتقوم الأبيض عنه تعالى]

وفى الساعة ٩ وثلث عربى نهاراً دعانى سعادة الحكمدار وأخبرنى بالتوجه لطرف سعادة الجنرال هكس باشا وأخذ أفكاره عن أنه من حيث تراءى لسعادته أننا وصلنا لهذه الجهة التى كان يبلغنا عنها قولا بأن الرهد هو مستقرب للأبيض فلا يخلو الحال من وجود من يعطينا خبر الشقى وأعوانه بكردفان وفضلا عن ذلك فلا يصادفنا سوى وجود جمعية من الأشقياء تابعين أثرنا ليلا ونهاراً أو من هذا يتضح أن هؤلاء أعوانه الحقيقيين وما أرسلهم لمعاكساتنا إلا تصوراً منه لمنع من

يأتنا طائعين من عربان وخلافه وبهذا الواسطة فقد فاز لهذا الغرض وانحرمنا من وقوعنا على الأخبار الحقيقية فمع جسامة هذا الجيش العظيم بعد وصوله لجهة كهذه بدون أن تجعل الوسايط الموجبة لضبط أكم شقى من التابعين أثرنا ما داموا قاطعين طريق العربان إلينا للاستفسار منهم عن من هم هؤلاء العربان وما كيفية أحوال الأبيض وما هى إجراءات الشقى لنقف على حقيقته دون أن نقوم على غير بصيرة خصوصاً وأننا صرنا قريبين منه وآخر ما فى وسعنا من الاحتراسات اللازمة تعيين أورطة أو أكثر للقيام من هنا ليلا والتوجه لأحد الحلالات المجاورة لنا هنا والهجوم عليهم ليلا ولعل وعسى أن يأتوا إلينا بأكم شقى للوقوف منهم عما ذكر بعد أن يرى بالنضارات جهة اقترابهم وبيمنه تعالى يحصل المقصود فطبقاً لأمر سعادته قمت مسروراً من هذه الأفكار قاصداً سعادة الجنرال هكس باشا وبإيضاح هذه المسألة ما دار فى أن كان يتكلم بهذا الموضوع مع حضرة الكولونيل فركهار وأن هذا رأى سديد فأجبته بأن هذا دليل على حسن العاقبة إذ الغاية الوحيدة هى الرسيان على أحوال الشقى فأجبنى بأن اجتمعا عليه ذلك كونه متحد الفكر من هذا الأمر وفقط يعسر عليه هذا الأمر لعدم علمه عما إذا كان فى إمكانه هذا لأى العساكر أجرى ذلك لأن هذه هى أول مرة قد تشرفت بأن أكون قائداً عمومياً للجيش المصرى خادما له بصداقة ومنذ ذلك فلا أكون مخفياً عن أطوارهم وأخلاقهم لإجراءات حربية ليلا كهذه وإنى أقول لك إنه إذا كان هؤلاء عساكرى (يقصد بذلك الإنكليز) فكنت أعين منهم فرقة مخصوصة سراً ولا أعلمها عما هو الغرض إلا عند خروجها خارجاً بمائتين متر تقريباً وإنى وإن كنت متفكراً فى ذلك قبل حضورك بربع ساعة فسأرسل لسعادة حسين باشا مظهر وأتذكر معه فى هذا الخصوص لأنه هو أدرى بحالة الجيش والعساكر زيادة عنى ومن الآن أقول إن سعادة حسين باشا مظهر موافق على ذلك إنما يكون بهيئة قلعة وهذا لا يصح ليلا ولا ينتج منه فائدة خوفاً من فرارهم بدون تمكن أحد منهم وإنه وإن كان ولابد فلا طريقة سوى تعيين أورطتين ويكونوا بهيئة طابور بدون أن يهيصوا ببعضهم ويهيجوا على أحد

---

(١) القرى .

الحلالات سراً ولابد من أكم واحد لضبطهم وحضورهم إلينا فتشكرت لسعادته وعدت مخبرا سعادة الحكمدار بما حصل واقد وعد سعادته بأن بعد المذاكرة مع سعادة حسين باشا مظهر يرسله لطرف سعادة الحكمدار لتفهمه ما يتراءى لسعادته زيادة عن ذلك

فى يوم السبت المبارك ٢٧ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١١ عربى صباحاً علمنا قيام آلاى ومعه جانب خيالة تحت قيادة سعادة حسين باشا مظهر بجهة الحلالات لضبط ما يمكن ضبطه فعاد فى الساعة ٣ ونصف وأوضح على أنه لم يرى أحداً مطلقاً بطريقه ولا استشعر بوجود عربان قط فاستغرب غاية الاستغراب من أن هذا هو يظهر مقصود سعادة الحكمدار لأن مستحيل التمكن من ضبط أحد بهذا الطريق إذ لوكان يمكن لكنا ضبطنا آلاف من جهة قيامنا من الدويم لحد هنا ما علمنا كيف كان هذا الفكر وإنما بلغنا أن حين ما عملت المذاكرة مع حسين باشا مظهر تورى من سعادته إمكانه الخروج ليلا بهذه الصفة خوفاً من أن تكون لربما موجود عدد وافر من العربان بجهة واحدة ولشدة الظلام يخشى من حصول تلفيات زيادة عما يتصور ولا يصح القيام بهيئة خلاف قلعة وإنه إذا كان ولابد فلا مانع من قيامه باكر صباحاً ولعل أن تحصل المقصود وبناء عليه انصرفت المسألة على ذلك وقام وعاد بلا شىء وفى الساعة ١ عربى ليلا حضر سعادة الجنرال هكس باشا بطرف سعادة الحكمدار وحصلت المذاكرة بشأن ما هو لازم فتفضل سعادة الحكمدار فخاطب سعادة هكس باشا بأن وأنه كان لنا اعتماد كلى على حضرات الضابطان لكن المترائى لى هو أن من كون هيئتنا الحاضرة تقضى بزيادة الاحتراس فعلى سعادتكم تعيين اثنين من ضباط أركان حرب الإنكليز ليطوفوا ليلا بدائرة الزريبة من الداخل لتفقد أحوال العساكر هل هم على هيئة الاستعداد كما نعلم أم ما هى أحوالهم وأحوال ضباطهم خصوصاً كوننا قربنا لمحل الوصول وإن ذلك لا يكون سبباً فى عدم راحة الضباط الإنكليز فقط من باب [التخويف] لعساكرنا وضباطهم حيث لو علموا أن سعادتكم عينتم عليهم مراقبين فى أثناء الليل فلا شك فى بذل غاية جهدهم زيادة عما هم عليه وأكدوا على الضباط

الإنكليز أنهم لا يظنوا أن هذه المأمورية متعبة لهم ما دام لم يبق علينا سوى ستة أيام لوصولنا ومن ذلك يحصل لنا مزيد الراحة ، ثانياً إنى أرى عدم اللزوم فى اتساع الزريبة وكلما ضاقت نتجت فايدتها زيادة أى يحوجنا عن جعل العساكر صفين يكونوا على ثلاثة وهكذا ترى الفائدة ، ثالثاً أنى أرى فى الوقت الحاضر غير ممكن جعل اللازم من صنف البقسماط فهل مع وجودنا ومرورنا فى وسط المزروعات[لماذا عدم استلامهم]على البقسماط ويكتفوا بأكل الذرة والدخن وغيره كما يفعلوا الآن إذ لا يصح مع وجود كامل هذه الأصناف ولله الحمد استعمال البقسماط أيضاً ويلزم من ضباطهم حسن الإدارة فبذلك ويتعقلوا ماذا يكون العمل لو ينتهى البقسماط ومصادفه لعدم وجود مزروعات كهذه فأرجو شدة التأكيد عليهم بأعمال الوفر اللازم فى هذا الوقت وإنى فى غاية الممنونية فيما بلغنى يوم تاريخه من حسين باشا مظهر أن أحد الضابطان المدعو أحمد أفندى خنجى قد أظهر زيادة اعتنائه فى حسن إدارة بلوكه حتى ألزمهم بأكل الذرة والدخن والفول والفاصولية والاستغناء عن البقسماط لحفظه عند ضرورته فى المستقبل ولذلك فقد وفر بحسب اعتراف اليوزباشى . . . . . تعيين ستة وعشرون يوم مثل ذلك يستحق مكافئته بزيادة الشرف وترقيته لرتبة البكباشى أنموذج لباقى الضابطان ، فأجاب سعادته بالقبول وأوعد بترقيته للدرجة التى رغبها سعادته وبعد المذاكرة قام لمحله ولقد دعى سعادة الحكمدار هذا اليوزباشى للتأكيد منه عما فعله ليرسله لسعادة هكس باشا لينال هذا الشرف العظيم وبحضوره استفهم منه قال بأنه لم يأذن بصرف البقسماط لما رأى كافة العساكر يأكلون الذرة والدخن وخلافهم من مزروعات الأهالى التى هى بطريقهم ولعلمه بعدم انتظام الحال ولربما يأخذ زمن لحضور البقسماط من الخرطوم أجرى هذه الطريقة حتى لوقت الضرورة وشدة الاحتياج الأمر الذى تستصعب حصوله يكون فايز عن أمثاله ويكون أيضاً ممن لا ثانى له فى هذه المأمورية فانسر سعادته من ذلك وبشره بالترقية لرتبة البكباشى وأرسله لسعادة هكس باشا وبعد الاستفهام منه عما ذكر وعلمته بأنه بترقيته البكباشى من هذه الليلة وهى ليلة الأحد المبارك وتوجه لمحله داعياً لسعادتهما على ذلك وصرنا نؤمل حصول

الاهتمام من الآخرين لينالوا حسن هذا الالتفات وبمشيئته تعالى ونقوم باكر تاريخه للبر الغربى من الخور ونقيم به ليلة واحدة لأخذ المياه الكفاية والتوجه بسلامة الله لجهة علوبة الطريق الذى حصل التصميم عليها ولقد انقطع ضرب النار علينا من الأشقياء يوم تاريخه ويوم أمس تاريخه ولم يتظاهر حولنا أدنى أحداً منهم وفضلا عن عدم معاكستنا فى هذين اليومين قد انشغلت أفكارنا لمعرفة السبب الموجب لذلك لعدم خلو هذا الأمر من سبب حقيقى .

فى يوم الأحد المبارك ٢٨ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ صباحاً قمنا من نقطة الرهد قاصدين البر الغربى منه كما حصل الاتفاق وبعد مسيرنا بنصف ساعة والخروج من الزريبة قد أطلقوا علينا رصاص واحدة بعد الأخرى وعددهم تقريباً لا يزيد عن العشرة عربان ولم يحصل لأحد من الجيش أدنى إصابة وعادوا يعاكسونا أثناء سيرنا مسافة ساعة ونصف بدون أن نلتفت إليهم وما برحنا من داخل الخور إلا وأقبل علينا الخبيرى أحمد صبيح وثلاثة أربعة خيالة أخر من جماعتنا مخبرين بغاية الفرح والسرور أنهم رأوا على بعد مائتين متر أحد مشايخ العربان راكباً جواده ولما رآهم وحقق أنهم من الجيش المصرى أخبرهم بأنه يطلب الأمان وطايع للحكومة هو وعربانه وأنه حضر المرار منذ ثلاثة أيام لتقديم طاعته ولاستمرار ضرب النار منا لم أمكنه الوصول إلينا فأخبروه بالحضور معهم ليوصلوه لسعادة الحكمدار وأعطوا له أمان الله ورسوله وأمان الحكومة وسعادة الحكمدار ، فلما سمع ذلك أوعدهم بأنه سيتوجه لتفهيم عربانه المقيمين بهذا الحلال وأشار إليه بعيداً بألفين متر عنه ويحضر معهم ، فدخلت هذه الحيلة عليهم وتركوه راجعاً إلى عربانه وأتوهم مبشرين بذلك ، فانسر سعادة الحكمدار وسعادة الجنرال هكس باشا وجميع الحاضرين وأمر سعادته بوقوف القلعة مقداراً من الدقايق لحين حضور هذا الشيخ وعربانه ولما لم يحضروا بعد هذه المدة قد أمر سعادته بالسير وتوجه جماعة من الشايقية والباشبوزق لجهة الحلال التى أشار عنها هذا الملعون فحصروه ولما اقتربوا على بعد خمسمائة متر وجدوهم عبارة عن أربعين خيال ومن ستين لسبعين قرابة فنادوا عليهم أنهم محضرين مخصوص من قبل الحكمدار ليوصلوهم فى أمان فجالوا بخيولهم تارة يبعدوا وتارة يتأخروا حتى اقتربوا

إلى العساكر جماعتنا بمائتين متر تقريباً وعلى حين غفلة أطلقوا عليهم النيران فأسرعوا عساكرنا بالرجوع خلف بخيولهم وأتوا إلينا رامحين ظانين بأنهم مقتفين أثرهم ولله الحمد لم يصاب منهم أحد وعلمنا أن هذه الحيلة من أعظم الحيل وأن السبب والفطنة الأكيدة منذ ذلك هو أن هذا الشيخ المذكور وعربانه تابعين لمحمد أحمد الشقى وما حضر إلا لعلمه بأن الشقى الملعون أرسل فرقة من من الأبيض لانضمامها مع الموجودين خلفنا بناء على طلبهم حين ما أفهموه بأن الحكومة المصرية هى كثيرة الغدر وبذلك لا يمكنهم المقاومة فرغبوا منه إرسال فرقة جديدة من هناك ليستمروا فى معاكستنا وكان هذا الشيخ عالماً بها ، وبناء على تعريف من الشقى محمد أحمد قد استعد بعربانه لانضمامه معهم ولما استشعروا بمرور جيشنا ظن أنه هؤلاء هم المحضرين من الأبيض فحضر مسرعاً بجواده إليهم ومن سوء ظنه رآهم عساكرنا الكشافة بخيولهم قريبين منه فحرصاً لحياته قد اخترع حيلة كونه قادماً مخصوص لتقديم طاعته للحكومة مع عربانه ومن كثافة عقل عساكرنا الكشافة صدقوه فيما أبداه لهم هذا الخاين وعشمهم برجوعه وجلب عربانه معهم فدخلهم غفلة تدبيره ومكنوه من فرصة الخلاص من الهلاك وأقدموا علينا مبشرين بما حصل فهل لم يعلموا أنه إذا كان مقصده الحقيقى الطاعة للحكومة فلا شىء يحوجه للرجوع وتفهيم عربانه مع العلم بأنه شيخهم غير عاصيين أمره وأن حضوره بمفرده بقصد الطاعة وتفهيمهم بأن عربانه هنا قريبين فيما يدل على أن عمومهم طايع وما حضر إلا علماً برضاهم فكيف دخلت عليهم غفلة كونه راجعاً لحضورهم وما المانع لحضوره أولا لطرف سعادة الحكمدار وبعد قبول طاعته يؤذن بإرسال من يلزم لجلب عربانه أو تأمينهم بمحلاتهم وإنى أقول أن تمكن هذه الحيلة مع كثافة عقول من ألقيت عليهم هذه الصورة ما هو إلا بإرادة من البارى بطول أجل هذا الملعون وبعد استمرار الجيش فى السير مسافة نصف ساعة وطلوعنا فوق قطعة أرض مرتفعة بجانب الخور بالبر الغربى (المحل الذى نقصد التعسكر به) رأينا كثيراً من العربان خيالة بالبر الشرقى داخل زريبتنا الأصلية واستمرت المعاكسة بضرب النار علينا من كل مكان بالخور وبتحقيقهم بالنظارات وجدناهم

كثيرين منتشرين بالبر الشرقى داخل وخارج زريبتنا وتحت الأشجار يجولون بخيولهم طالعين ونازلين بالخور لأخذ المياه فأصر سعادة الجنرال هكس باشا بضرب أكم مدفع كروب على بعد ألفين وألفين وخمساية متر وضرب عليهم ستة مدافع كروب وكنا نراهم بالنظارات بالبر الشرقى يموجون بخيولهم ولم يزالوا يطلعوا علينا من بعد ولما أن أعطيت الأوامر بإعمال الزريبة للمعسكر قد رأيناهم زادوا عن الأول بكثير وليس هم الذين دواماً تابعين أثرنا بل هذه فرقة مستجدة كانت محضرة للهجوم علينا وتصادف فى ذاك الحين خروجنا من الزريبة ونزولنا بالخور للتعدية للبر الغربى الأمر الذى ياليته جرى حتى كنا نذيقهم نارنا فى هذا الصباح والذين يثبت كونهم مستجدين هو أولا سرعة نزولهم للخور لشرب خيولهم عند وصولهم للمياه — الثانى أن هؤلاء كانت ملابسهم بيضة نظيفة وأغلبهم متظللين بالشماس وعلى رؤوسهم طرابيش حمرة متقلدين بالسيوف الفضة والحراب وخيولهم بغاية الصحة وعلى ظهورهم الفرو النضاف وغيرنا من رأى بعضهم لابسين ستر وبنطلونات وهذا هو الأمر الذى يعجبنا غاية العجب من أن التابعين للشقى هم الدراويش فقط كما كان يبلغنا وبعد وجدناهم بخلاف نعم إننا لا نخشى بأسهم فقط مما يؤكد لنا أن موجود من يعين هذا الملعون خلاف الدراويش ممن هم من قديم الزمن مغمورين بخيرات الحكومة ومتشرفين بالشرف العالى من الحضرة الخديوية ولما أن تحقق جموعهم بهذه الكيفية لسعادة الجنرال هكس باشا أمر بإطلاق المدافع لمسافة البر الشرقى. وقد كان واستمر ضرب المدافع الكروب الجبلى مسافة نصف ساعة وشاهدناهم على بعد متفرتكين وكنا نرى بعضاً من الخيول بدون راكب من عزم قوة المدافع وحققنا أن ضرورة لابد وأن يكون قد فقد منهم كثير . وأما رصاصهم المضروب علينا فلبعد المسافة كما قلنا لم يصب منا سوى ثلاثة — واحد قتل واثنين جرحا فحمداً لله على ذلك . وامتنع الضرب منا ومنهم حيث كانت الساعة ٧ عربى نهاراً . وكان قبل ذلك فى الساعة خمسة وصار ضبط اثنين من الأشقياء

وقتل اثنين آخرين من العرابة وبحضورهم والاستفهام منهم عما لزم أوروا بأنهم من قبيلة أحمد ولد كنونة وأن شيخهم وهو الذى فعل حيلة الصباح علينا

بأنه طايع ورجع لجلب عربانه ولم يعد للآن كما أوضحت قبل هذا هو أنه نبه عليهم بالانضمام للاشتباك لضرب الترك وأن هؤلاء الأربعة كانوا منفردين بعيداً وما يشعروا إلا وهجمت عليهم العساكر الباشبوزق وحضرة الكولونيل فركهار ولما فروا لحقتهم الباشبوزق وقتلوا منهم اثنين وأسروا واحد وأما الرابع فكان بحربة يحاول قتل الكولونيل المومى إليه فضربه بفردة طبنجة أصابته فى فخذه وفى الحال سقط وكان كل واحد منهم بيده ثلاث حربات اثنين صغار طول ثلاثة أمتار والثالثة طول خمسة أمتار ولم يمت فأحضره حضرة الكولونيل وصار هو الثانى وبالاستفهامات أورى بأنه منذ ثلاثة أيام يعنى بذلك يوم الجمعة حضر واحد فلكى من الأبيض وعرفهم أن الإمام (وهو الشقى) سيحضر بجيوشه لمقاتلة الجردة المصرية[1] بالرهد هذا ثم حضر آخر يوم من تاريخه وعرف أن الإمام (الشقى) عصا عن أن يحضر الآن ويترك الأبيض وقد عين فرقة خيالة لانضمامها مع الفرقة الموجودة لمعاكستنا يومياً وسيحضروا هنا يوم تاريخه وهى الفرقة التى حضرت يوم تاريخه بالبر الشرقى لقصد معاكسة الجيش لحين وصولنا[بلازم] وهناك بنفسه وجيوشه سيتقابل الجيشين للحرب ولقد دعا كافة العربان للحضور بالأبيض وأغلبهم موجود هناك الآن منتظرين وصول هذه الجردة ولكثرة كلامهم وتلونهم فى الأقوال كونهم من الدراويش المعتقدين بالشقى فلا كان يوجد منهم معلوميات خلاف هذا ولقد طمس على قلوبهم هذا الملعون حتى صاروا يعبدونه من دون الله والعياذ بالله ، وفى الساعة ١ ليلا حضر سعادة الجنرال هكس باشا بطرف سعادة أفندى الحكمدار للمذاكرة فيما هو لازم فلعلم سعادته بما رآه من استجداد وتجمع هؤلاء الأشقياء يوم تاريخه قد أخذ سعادة هكس باشا بأن المترأى هو إقامة الجيش هنا باكر تاريخه ننتظر ما هى مقاصد هذه الفرقة الأشقيا المستجدة فى هذا اليوم حتى إذا كان لهم قصد الهجوم علينا فالأوفق أن ننتظرهم هنا باكر كما بلغنا ولربما أن يقع منهم أحد فى يدنا وبحقه تعالى سنقوم بعد باكر تاريخه فقبل سعادته ذلك وأمر براحة الجيش هنا باكر تاريخه وبعد المناقشة قام وعاد لخيمته وفى الساعة ٢ عربى جاء على أخبارية

---

(١) التجريدة .

سعادة الجنرال هكس باشا لنا بخصوص حضرة عبد الرحمن بك بأن التعاتب وملحوظات سعادته التى أبداها لنا لعرضها لسعادة أفندى الحكمدار قد عرضها لسعادته حسب الأمر ، وأيضاً لما شرف حضرة الكولونيل فركهار رئيس أركان حرب بطرف سعادته فى الساعة ١١ ونصف قد تفضل بتفهيم حضرته عن ما رآه من [عدم] ممنونيته حضرات ضابطان الطوبجية منهم فى هذا اليوم حال الضرب على الأشقيا إذ ذاك يعد تعدياً للقوانين العسكرية لأن كل إنسان مسئول عن عمله وأن مع وجود النشانجى والضابطان فلا يصح من حضرة سعادة هكس باشا أخذ النيشان بالمدفع والتدخل فيما هو مختصاً بخلافها لأن ذلك يعد كسر خاطر للضابطان حيث فى الواقع أن حال الضرب فكان كل نيشان كبير كان أو صغير محتاط بالمدافع وفضلا عن ازدحام العمل فكانوا يأخذوا النيشان بأنفسهم دون معلومية الطوبجى ومنهم من يقول اضرب على ألفين ومنهم على ألفين وخمسماية وذاك على ثلاثة آلاف ومع اختلاف التعريف فكثيراً من الجلل لم يصب أحداً من الأشقيا ولا فائدة ترى ضياعها فى الفارغ البطال وبعد تفهم حضرة الكولونيل بذلك قام لخيمته ممنوناً من ذلك موعداً بعدم حصوله دفعة ثانية .

فى يوم الإثنين المبارك ٢٩ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ٣ ونصف عربى صباحاً حضر سعادة الجنرال هكس باشا بطرف سعادة أفندى الحكمدار وحصلت المذاكرة فيما هو لازم بخصوص القيام باكر وفتحت المذاكرة بشأن عبد الرحمن بك بأن التعاتب على أخبارية سعادته لنا [المرار] واتفق الرأى على تفويض أمره لسعادة أفندى الحكمدار بعد أن أبدى ملحوظاته بخصوصه وقد تصادف فى الساعة ٤ عربى حضر عبد الرحمن بك لخيمة سعادة أفندى الحكمدار فأخذ سعادته يستفهم منه عن بعض ملحوظات خاصة بأحوال الأبيض وما هى أفكاره وكنت إذ ذاك ليس موجود فأبدى غاية أسفه الوحيد هو على وجوده خشية من علم الشقى محمد أحمد بوجوده مع الجيش لينتهز فرصة إعدامه قبل وصولنا وكرر ذلك المرار ولم يظهر منه [حاشيات حسنة] بشأن نجاحنا من عدمه ووجه كامل [فكره لواحده] بدون استحسان عاقبة أفعالنا فحضرت إذ ذاك أثناء تعبيره وتعجبت غاية العجب من ذلك ولكونى كنت مع سعادة أفندى الحكمدار

بعرض له حالته على غير ما حصل ونكون قد وقعنا فى بئر لا آخر له ، وفى الليلة المذكورة حصلت لنا المؤانسة التامة مع سعادة الجنرال هكس باشا وحضرة الكولونيل فركهار لغاية الساعة ٥ عربى ليلا وقمت أنا وسعادة أفندى الحكمدار عائدين لخيمتنا وسنقوم بفضل الله يوم باكر تاريخه ، وأما فى هذا اليوم لم يحصل لنا أدنى معاكسة من الأشقيا ولقد سررنا جداً حين افتتاح هذا اليوم بترقية حضرة وهبى بك قائمقام أركان حرب لرتبة الميرالاى مكافأة لحضرته من سعادة الجنرال هكس باشا فى تأدية ما أحيل عليه بغاية الاجتهاد والنشاط وهى حفظ وتوضيب القلعة أثناء سيرنا وقدمنا مزيد تشكراتنا لسعادته على هذا الالتفات الحسن وبناء على ما أوعده به سعادته بالمكاتبة الرسمية التى أرسلت لحضرته سيطلب الفرمان اللازم من لدى مكارم الحضرة وقد اعتبر هذا البيك المومى إليه بالرتبة الجديدة من هذا اليوم بالجيش السفرى

فى يوم الثلاث المبارك ٣٠ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى صباحاً قمنا من نقطة الرهد بالبر الغربى قاصدين علوبة[1] وبعد خروجنا من الزريبة بساعة تقريباً ابتدئت الاشقيا بالمناوشة معنا طول سيرنا لغاية وصولنا جهة البديرية الساعة ٧ ونصف عربى ولم يصب منا سوى اثنين وأما هم فلم يعلم ما أصيب منهم لاختفاهم بالغابات وبأثناء سيرنا صار ضبط ثلاثة حريمات عربان واحدة بعد الأخرى وبالاستفهام منهم عن الأحوال والحوادث أجابوا بما سبق فى علمنا من أن العربان متجمعين بالأبيض لأنهم حين ما بلغهم مرورنا من هذه الطريق فى صباح هذا اليوم قاموا بأنفارهم وأموالهم لجهة جبل الداير الواقع على يسارنا ولعدم إمكان خيالتنا السوارى والباشبوزق اقتفينا أثرهم لضبطهم وعدم اقتدار خيولنا على الهجوم للتعب الحاصل لهم طول هذه السفرية وحصل التفات لهذا الغرض وبوصولنا لجهة البديرية المذكورة قد عملت الزريبة اللازمة للمعسكر حسب المعتاد وأما بخصوص عبد الرحمن بك [بأن التقا] فقد علمنا حين خروجنا من الزريبة فى صباح هذا اليوم بناء على البوصلة الواردة لنا من ٣ جى بكباشة إقرار أحد توابع البيك المومى إليه عما يعلمه بخصوص سيده المشار عنه هذا

(١) توجد فى هذه الجهة علوبة و إلى الشمال الغربى منها علوبة النقية .

أثناء طلب عبد الرحمن بك بالخرطوم للقيام معنا وسمعت تكرار أسفه بشأن وجوده عازماً على عدم الحضور معنا للأبيض ، صدر أمر لأمر سعادة أفندى الحكمدار الذى لم يقصد به سوى كون حين ما يبلغ الشقى وجوده معنا وعلم وجوده أيضاً بذلك يتدارك فى أمر فساد جموع هذا الشقى يسامح وجوده بعفو تام من الحكومة الخديوية وفى أمل زيادة تقدمه وصرف النظر عما سمعناه بخصوصه هو ووالده ونحن بالخرطوم واحتج بكونه عازماً على تأدية فريضة الحج وأنه أرسل حرمه مقدماً لسواكن تخلصاً من عارضات الزمن فحمد الله قد تمكن سعادته من تنفيذ مقصده طوعاً كان أو كرهاً إذ لاحاجة لإيضاح ما حصل هناك فأخبرته أنه لا ينبغى لك أن تكرر هذه الأقوال التى أوضحتها لسعادته مذ كنت بالخرطوم فأخبره سعادته بأنه مع وجود سيدك الذى أنت تشرفت بشرفه وترقيت لهذه الدرجة لا يصرفك أن تتكلم شيء بخصوص والدك وتظهر أسفك الوحيد بخصوصه بدون أن تستحسن عاقبة أمالنا مع كونك عالماً علم اليقين بأن وجودك لا يعد إلا خائناً لحكومتنا السنية أفهل تدرى أن هو أول من خرج من استحكام الأبيض مع الياس باشا لمقابلة وتعضيد الشقى ومكنتوه من إعدام من عدم واستولاه على مدينة كردفان الأمر الذى تعلمه الحكومة جيداً أفهل نسيتم ما أنعمت به الحكومة والحضرة الخديوية عليكم وفهل لك شرف تبادر به بعد بخس شرف الحكومة فأجاب عبد الرحمن بك مستقبحاً شرفه الحالى قائلا إنى مذ كنت متقمصاً بالعرى (الجلابية القماش) وأنادى باسم عبد الرحمن بأن كنت حايزاً للشرف الزايد عما أرى نفسى متشرفاً بشرفى الآن فامتزج سعادته بالغضب من قباحة هذه الألفاظ فخرجت فى الحين لخيمتى وتركت سعادته معه وحضر بسطى بك وجورجى بك . وبعد برهة قليلة علمت أن سعادته أمر بسجنه وتوزيع أتباعه على آلايات السفرية وحفظه وحفظ كافة تعلقاته تحت توكيل حضرة على أفندى عبد الله بكباشى مأمور حملة سعادته ، وفى الساعة ١ عربى ليلا قد أخبرت سعادة الجنرال هكس باشا بينما نحن متشرفين بمائدة سعادته الذى دعينا إليها مع سعادة أفندى الحكمدار فتأسف سعادته غاية الأسف من هذه الألفاظ وأمر لمعاقبته بما حصل وقد أخبرناه [إلا بأمل عدم توسطه له]

ما يكون باعثاً لنا فى حصر الشبهة الأكيدة فيه ولأجل الاختصار رأينا من أخذ صورة هذا الإقرار ليرصد هنا حرفياً اعتماداً على بوصلة البكباشى المومى إليه وهى هذه (إدريس تابع عبد الرحمن بك مسجون فى ٣ جى أورطة ٣ جى بيادة سفرية إلى ٣ جى بيادة سفرية ميرالاى عزتلو أفندى – بالاستفهام من المذكور عن بعض حوادث أورى على أنه فى بعض الأحيان يبرر خروج سيده المسمى عبد الرحمن بك من القلعة ويتقابل مع عربان أمين الياس باشا سراً وبالجملة تقابل معه فى النهر (يعنى بذلك نهر البلياب) الذى أقمنا به يومين فضلا عن كونه مرتب اثنين عبيد من عبيده وهما قسيم وعلى وهؤلاء مراسلة ما بينه وبين الأشقيا وخشية ذلك فما يجب الأخبارية عنه اقتضى تحريره لعزتكم لأخذ اللازم نحو مخابرة جهة الاقتضى بذلك أفندى ٣٠ أكتوبر سنة ٨٣ ختم من ٣ جى بكباشية ٣ جى بيادة سفرية) وبناء على ذلك حضرة الميرالاى أرسلها لسعادة أفندي الحكمدار للمعلومية وبوقته قد أخبرنا سعادة الجنرال هكس باشا بذلك ليكون على علم بما هو جارى داخل الجيش وسنقوم بفضل الله تعالى باكر تاريخه .

فى يوم الأربع المبارك ٣١ أكتوبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى صباحاً قمنا من نقطة البديرية قاصدين علوبة وبعد مسيرنا بنصف ساعة ابتدأت الأشقيا بالمناوشة معنا داخل الغابات لغاية الساعة ٦ ونصف ولم يصاب منا سوى واحد وقتل واحد وأما بخصوص عبد الرحمن بك [بأن التقا] فقد علمنا بعد خروجنا من الزريبة فى صباح هذا اليوم من ٢ جى بكباشية ٢ جى بيادة سفرية إقرار أحد توابع البيك المومى إليه وهذا يكون باعثاً أيضاً لزيادة تأكيد الشبهة فيه ولأجل الاختصار رأينا لزوم أخذ صورة الإقرار ليرصد هنا حرفياً اعتماداً على البوصلة بوصلة البكباشى المومى إليه وهى هذه (استعداد الشخص الموضح اسمه أدناه التابع إلى عبد الرحمن بك – إن اسمى سناد زول مولد بطرف سيدى المذكور والذى أعلمه جيداً بأن شخص يدعى حسين من تجار كردفان حضر بطرف سيدي ونحن بالخرطوم قبل قيامنا إلى السفرية هذه وحضر له جواب من عند والده بكردفان بنوع السر وحضوره كان من جهة أم درمان مضمونه بأنه لم

يحضر مع العساكر ولا يخرج من الخرطوم وأما معلوميتى فى سفريته هذه هو أن سيدى أخذه وعطاه مكالمة مع توابعه وهما قسيم ومكى لكونهما دواماً كانوا يتأخروا فى الطريق ويحضروا بعد الناس بعد نصب الخيمة ووضع العفش [وقد عثر] الشخصين المذكورين لا أعلم إن كان يتكلم مع أحد خلافهم أم لا هذا حقيقة ما أعلم – وكيل لوا ٣ جى و ٤ جى بيادة سفرية –

أنه بناء على ما تنبه به علينا من عزتكم شفاهى بخصوص استجواب الثلاثة أشخاص التابعين إلى عبد الرحمن بك واختبار حقيقة أمرهم المسجونين الآن بالآلاى فلو كانوا يقروا بشىء ما عن الشخص الموضح أعلاه [تورد منه] ما هو مدون من الاطلاع عليه تعلم الكيفية إقتضى تحريره للمعلومية أفندم ٩ أكتوبر سنة ٨٣ ختم من ٢ جى بكباشية ٢ جى بيادة محمد حمدى – وبناء على ذلك حضرة الميرالاى المومى إليه أرسلها لسعادة أفندى الحكمدار للمعلومية وقد أخبرنا سعادة الجنرال هكس باشا ليكون على علم بهذه الحوادث المهمة الجارية بالجيش وبحقه تعالى سنقوم باكر تاريخه من هذه النقطة وهى نقطة الأغبش لنقطة علوبة ، وفى الساعة ١٠ ونصف عربى نهاراً قد وردت بوصلة من ٢ جى من آلاى بيادة سفرية لسعادة أفندى الحكمدار بخصوص ما أقر به على عبد الرحمن بشأن سيده عبد الرحمن بك وللاختصار التزمنا بأخذ صورتها لترصد هنا أيضاً وها هى هذه (إقرار على عبد الرحمن – إن الذى صار هو كما كنا فى محطة [العبلاقون] من بعد عملى سيدى عبد الرحمن بك أعطانى جواب من طرفه على قبول توصيله لأبيه فأخذته وتوجهت إلى حلة [العبلاقون] وسلمته لشخص عربى يسمى يوسف ولد نصر الله وكان معى قسيم أحد توابع البيك وطلوعنا كان صباحاً مع طلوع الحملة من الزريبة وكذا دواماً كان البيك يأخذ خيمته قسيم عبد الرحمن ومكى ولد الحاج على نسيبه يأخذهم ويطلع ولم نعلم أين يتوجهو وأن الذى كان جارى تحرير الجوابات بخطه هو مكى نسيبه ولما نقلنا إلى الجهة القريبة لخور الرهد طلع عبد الرحمن بك وصحبته مكى المذكور وقسيم وهذا الذى أعلمه وكذا كان بيخرج معهم عبدا عبد الرحمن. ما أقر به المذكور هو عندنا وبحضورنا بدون إجبار ولا إكراه عليه . ختم ميرالاى ٢ جى بيادة سفرية ختم قائمقام الآلاى ختم ٢ جى

بكباشية ختم ٢ جى صاغ — وبناء على ذلك قد أخبرنا سعادة الجنرال هكس باشا ليكون على علم بما هو جارى بالجيش

فى يوم الخميس أول نوفمبر سنة ٨٣ الساعة ١ عربى صباحاً قمنا من نقطة (الوغيش) قاصدين علوبة وفى الساعة ٤ ونصف وصلنا ببركة الله مياه بجلال علوبة وهناك تعسكرنا وعمل الخندق اللازم عند ذلك ومررنا كان من وسط غابة كثيرة الأشجار وأما معاكسة الأشقيا لنا فهى كما هو جارى يومياً وأما عند وصولنا للبركة المذكورة قد أطلق علينا الرصاص من الأشقيا الذين كانوا مختفين وكانوا لا يبعدوا على ضلع القلعة الأيسر بما لا يزيد عن العشرة أمتار ولما استشعر بهم عساكر الباشبوزق الخيالة حالا أطلقوا عليهم الرصاص وأخذت القلعة فى استعداد خوفاً من أن يكون موجود خلافهم أكثر عدد منهم للهجوم بحيلة كهذه علينا وبعد مسافة خمسة دقائق لم نرى منهم أحد وقد صدرت الأوامر بإعمال الزريبة اللازمة والخندق زيادة للاحتراس كوننا تعسكرنا داخل الغابة وفى الساعة ٢ عربى ليلا قد أطلق علينا مقدار أكم رصاصة من الأشقيا قريبين من الزريبة وفى الحال جاوبتهم عساكر الخفر ومدفعين ساروخ أيضاً لابتعادهم عن قرب الخندق وبعدها لم يحصل أدنى معاكسة لحد الصباح وأما حوادث هذا اليوم المهمة وهى أن عبد يسمى فضل من توابع أحد أهالى نقطة الدويم كان حضر برفقتنا من هناك بأمل كونه يكون خبيراً لنا عن محلات المياه مثل الخبراء الموجودين معنا ولما حضرنا لنقطة الخنفرية قد أرسله سعادة أفندى الحكمدار ليكتشف بركة (الصراحنة) الذى عرف عنها الخبر فتوجه وعاد مع شخص آخر [وقبله] وعرفنا بوجود المياه والماشية [صداقته] قد أنعم عليه سعادة أفندى الحكمدار من الخزينة بمبلغ مائة ريال مجيدى ثم فى ثالث يوم قد احتاج الحال له أيضاً وأرسلته ليكتشف بركة النورابى وأرسل أيضاً رجل آخر ليستكشف لنا خور النيل وأوعدهما سعادته بمكافئتهما فتوجهوا لوقت تاريخه لم يعودو وصرنا من ذلك فى غاية الأسف ظانين بأنهم فقدوا بالطريق أو تمكنوا العربان منهم وقتلوهم وصرنا ننتظر من يوم لآخر إلى أن انقطع عشمنا فى رجوعهم إذ لا حاجة لعدم رجوعهم وأخذ ما أنعم به عليهم من خزينة الحكومة كوعد

سعادة أفندي الحكمدار وما نشعر إلا وفى يوم تاريخه الساعة ٦ عربى عند إعمال خندق للزريبة قد حضر داخل القلعة الشقى فضل الله المذكور وعلمنا أنه كان حضر وسلموه بالأبيض للشقى محمد أحمد والرجل الآخر الذى أرسل معه فى اليوم المذكور لاستكشاف خور النيل وأن الرجل المذكور قد أعدمه محمد أحمد وأما هو مسجون مدة طويلة ولمناسبة تحليفه على المصحف أن لا يخون قد أرسلوه مع الفرقة التى حضرت بخور الرهد من الأبيض لمحاربتنا وبعد قيامه معهم مدة ثلاثة عشر يوم حضر لنا يوم تاريخه وبالاستفهام عن حالة وصوله وما فعلوه معه الأشقيا وما هى إجراءات الشقى محمد أحمد بكردفان فأورى بتفصيلات ما وقع له بعد قيامه من طرفنا فوأن كان تراءى لسعادة أفندى الحكمدار سجنه بالحديد بالنظر للإيضاحات التى أوضحها لكن . . . . ما وقع له لدرجها بهذا الكتاب وهو أنه بعد قيامه مع زميله من معسكرنا . . . .

* * *

هنا تقف يوميات عباس بك سكرتير حاكم عام السودان وتنتهى فى اليوم الأول من شهر نوفمبر عقب وصول الجيش إلى علوبة .

يخيم الغموض التام على أحداث الأيام الأربعة التالية التى تنتهى باليوم الخامس من نوفمبر الذي نشبت فيه مجزرة شيكان . ولم يعش ضابط من الحملة ليكتب لنا تلك الأحداث الرهيبة . كذلك قل ما نقرأه عن المعركة .

نجد القليل من أخبار تلك الأيام فى مرجعين أحدهما كتبه ونجت باشا سردار الجيش المصرى عقب استعادة السودان فى كتابه المعروف « المهدية والسودان المصرى »[١] . وثانيهما « النار والسيد فى السودان » لسلاتين باشا[٢] وكلا المرجعين خالياً من التحقيقات الطبوغرافية الدقيقة لمعركة شيكان[٣] .

---

(١) Wingate - Mahdism and the Egyptian Sudan P. 85-89.

(٢) Slatin - Fire and Sword in the Sudan. p. 239-243.

(٣) تقع شيكان على بعد ٢٨ ميلا شمال غربى علوبة .

يقول ونجت :

عسكرت قوات المهدى بقيادة عبد الحليم أحد أمرائه فى شيكان وكان عددها حوالى أربعين ألفاً — فى انتظار تقدم الجيش المصرى . أما أتباع هؤلاء من نساء وأطفال فقد اتجهوا نحو البركة[١]

وكان من رأى هيكس باشا السير إلى الأبيض عن طريق البركة لكنه لما اتصل به خبر وجود المهديين فى البركة ، « تشاور » هيكس مع علاء الدين عن أى الطرق يسلكها الجيش — وهل الأصوب العودة ثانية إلى الرهد ثم السير إلى الأبيض عن طريق كاشجيل وملبس .

ثم دعى الخبراء . فأورى « كونا » أمام الجميع أنه يعرف الطريق جيداً — وأنه يشير بالسير إلى كاشجيل مباشرة عوضاً عن العودة إلى الرهد . ومن كاشجيل يتجهون إلى الأبيض على أن يحملوا مياه يومين من علوبة . ورأى بقية الخبراء أن تقسم الحملة إلى قسمين — قسم يتبع الطريق الذى أشار به كونا . والقسم الآخر يعود إلى الرهد ويتقدم عن طريق ملبس إلى الأبيض .

قاوم هيكس بشدة الرأى القائل بتجزئة الحملة . وأخيراً وبعد مناقشات حامية تقرر العمل برأى كونا .

وبناء على ذلك وفى صباح يوم السبت الثالث من نوفمبر تقدم الجيش من علوبة متجهاً نحو كاشجيل . وبعد مسير عشرة أميال فى الغابات وقف الجيش وأقام زريبة . ولما ابتدأ الليل بدأ العدو يطلق رصاصه .فصدرت الأوامر فى الحال بطفى الأنوار .

وفى صباح اليوم التالى (الأحد ٤ نوفمبر) استؤنف السير فى اتجاه غابة شيكان . وقبل ساعة من الزمن هاجم العربان مؤخرة مربع القوة .

وقفت الحملة . وكانت شيكان على بعد ميلين فقط (كما صرح الخبراء) . وأنشئت زريبة بسرعة واتضح أن الأعداء يحيطون بالحملة فى جموع كثيفة . وفى الوقت نفسه استمر العدو فى إطلاق نيرانه بشدة فى اتجاه الزريبة ومن خلف الأشجار

---

(١) تقع البركة فى الطريق الموصل بين الأبيض والدلنج و إلى جنوب غرب علوبة .

قرر هيكس أن تتقدم الحملة وكان ذلك فى الساعة العاشرة من صباح يوم الإثنين الموافق ٥ نوفمبر .

«خرج الجند من الزريبة واتخذوا تشكيل ثلاث مربعات تؤلف مثلثاً وتقدم الجنود . وبعد نصف ساعة وصلوا إلى واد مكشوف تتبعثر فيه هنا وهناك الأعشاب . وعلى كلا الجانبين غابات كثيفة اختبأ فيها رجال المهدى . . . »

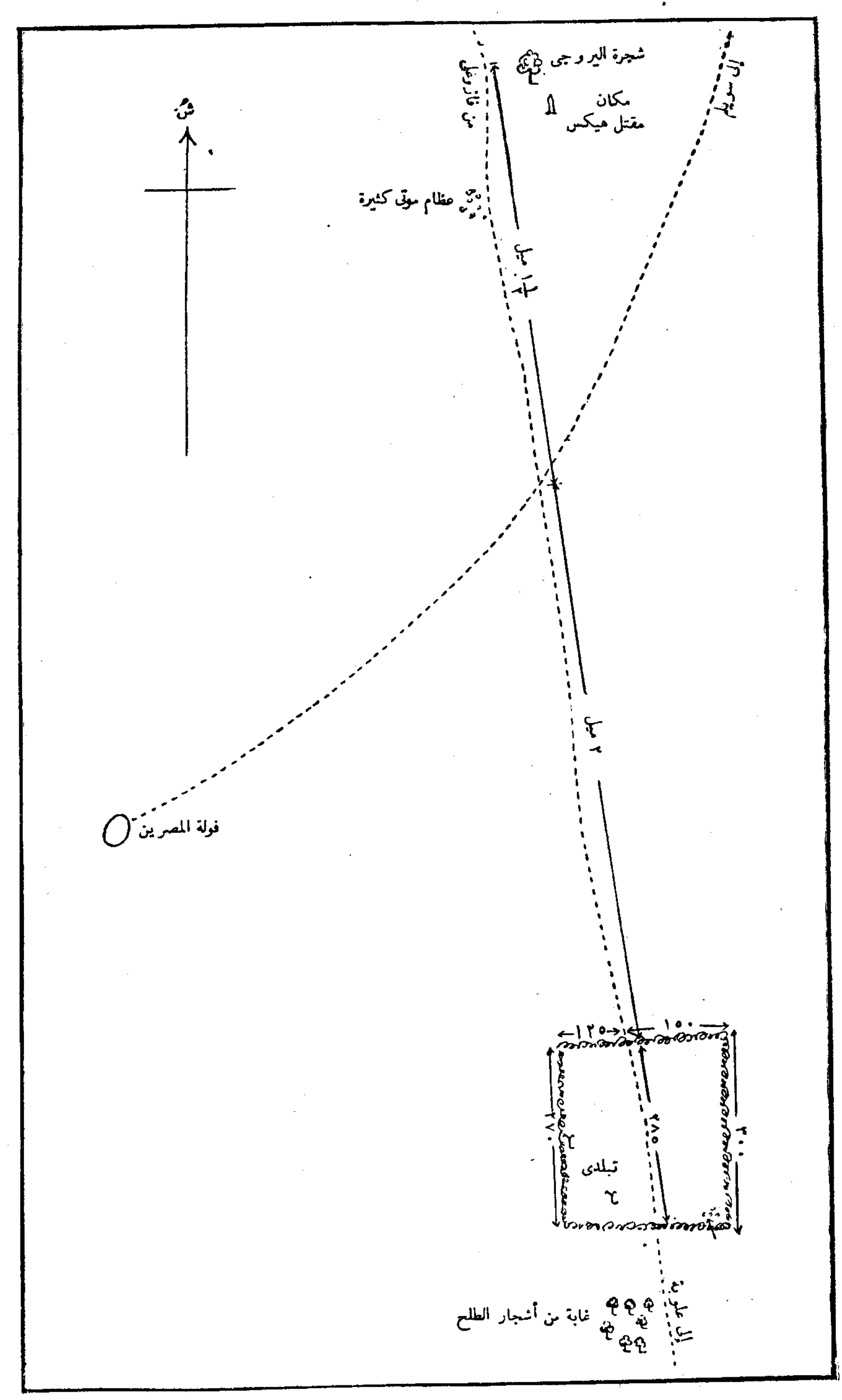
« أما المهدى فلما علم من عيونه أن هيكس قرر التقدم نحو كاشجيل فقد أوفد فى الحال أميره أبو عنجه على رأس القسم الأكبر من جيشه إلى شيكان (على بعد ستة أميال شمال البركة) — أما محمد أحمد فقد خرج على رأس القسم الآخر من الجيش واتجه إلى الوادى الذى سيمر به هيكس ثم اختفى برجاله فى الغابات التى على جانبى الوادى . بينما استترت بعض القوات فى منخفض كثيف الأشجار يقع فى وسط السهل . فى طريق الحملة .

والآن كل شيء قد أصبح معداً للمأساة الأليمة . محمد أحمد ورجاله يتربصون ويتلهفون وصول المصريين . وها هم يبصرونهم تحت أنظارهم يقتربون منهم رويداً رويداً وقد أضناهم التعب يجرون أقدامهم جرا . فجمع أمراءه ليصدر إليهم أوامره الختامية ثم انتهى من صلاته وسحب سيفه وصاح ثلاثاً : الله أكبر لا تخشوا شيئاً . النصر لنا . . .

يقول سلاتين إن الأمير أبو عنجه أفاد تحت ستار الظلام وتعلق رجاله بالأشجار مستعدين للمعركة عند أول إشارة . وظلوا طوال الليل يمطرون المصريين بوابل رصاصهم . فلم يتذوقوا الراحة لحظة واحدة .

وفى صباح يوم ٤ نوفمبر استأنف هيكس التقدم وقبل أن يسير ميلا واحداً هاجمته الحشود المؤلفة من مائة ألف محارب نزلوا من الأشجار كالسيل الجارف . وفى لحظة انكسر المربع (تشكيل القتال) وبدأت المذبحة فى أشنع صورة . وعم الارتباك والفوضى والذعر — وقاومت جماعات من الضباط والجند — ولكن انتهى الموقف بالاندحار التام .

ونلاحظ أن هناك اختلافاً فى المرجعين عن تاريخ يوم المعركة . ولكن يبدو أن المذبحة النهائية وقعت فى يوم الإثنين ٥ نوفمبر سنة ٨٣



كروكى لميدان معركة شيكان

واليوم وقد مضت سبعون سنة على معركة شيكان ضاعت فى خلالها معظم المعالم الطبوغرافية من دروب وغابات وأشجار ووديان ومجارى المياه . ولكن موقع أرض المعركة ما زال يعرف أنه يقع على بعد أربعة أميال جنوبى « شيهين » وميلان ونصف شمال شمال شرق بركة فولة المصارين

وإلى اليوم تقف شجرة تبلدى قديمة فى مكان تغزر فيه الشجيرات تعرف هذه أنها الشجرة التى أمر هيكس أن يقف عليها « البروجى » لعزف « النوبة » عند مشاهدة العدو — فلما أبلغه ما رآه رأى هيكس أن يعدمه فى الحال لكى لا تنحط معنويات الجند بعد أن حاصرتهم الأعداء من كل جانب .

وما زالت إلى اليوم آثار معسكر الجيش المصرى باقية بين كاشجيل وعلوبة . وما زالت بعض الأشجار التى شاهدت المذبحة تقف هناك . . . وحدها

O loved ones, lying far away
What word of love can dead lips send ?
O wasted dust and senseless clay.
Is this the end ? is this the end ?

عبد الرحمن زكى